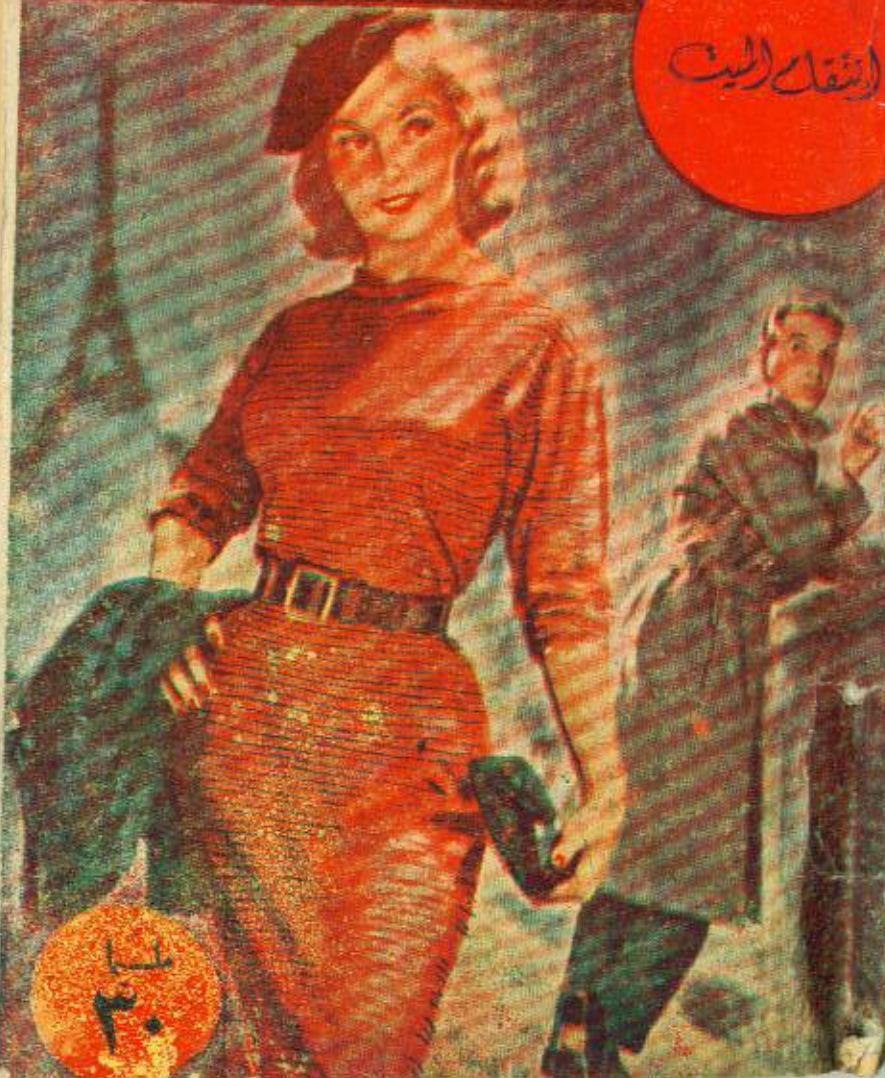


اربین لوہین

انتقال الیت



۴۰

استيقظ (جون ستوك) من رقاده الهنيء على جرس التليفون يرن
ريننا متصلًا في تمام الساعة الثانية صباحًا . وإذا كان هذا الصوت قد
ضايقه وأسخطه وهو يعلم أن قليلين يعرفون رقم تليفونه في (محلة
الصيد) التي يغشاها في فصول معينة في السنة على شاطئ جزيرة
(ماين) ، فإنه لم يتمالك أن زایل فراشه صاحبًا وقصد إلى التليفون
في الهبو وتناول السماعة قائلاً في استياء وحنق : من المتكلم ؟
وتلقى الجواب من عاملة التليفون التي أنبأته في رقة وعذوبة أن
(نيويورك) تطلبه .. وإن هي إلا هنيهة حتى تغير الصوت ، وقيل
له أن الحديث صادر من (فندق ليكوتفيلد) .. ثم تحدث المتكلم
أخيراً ، فإذا هو يقول له في صوت ضخّم المقاطع :
— لعل موسم الصيد ناجح حافل في الجزيرة .
فضاعف هذا السؤال سخبط المحامي الشيخ حتى أجاب مخاطبه في

هياج وعنف :

— ما رأيت أسمع من هذا !! ما معنى إزطاجي من نومي بعد
منتصف الليل لمجرد سؤالي عن صيد الاسماك ؟ !
فسمع محدثه يضحك ، وإذا هو يجيبه في صوت مختلف عن
صوته الأول :

— وبحك يا جون ! . أمن الأدب ان تخاطب بهذه المهجة صديقا

قديمالك حين يبدى اهتمامه هو اياتك التافهة ونزواتك الصيانية السخيفة ؟!
والواقع أن (جون ستوك) لم يكذب يسمع هذا الصوت حتى
أغترأ تبديل غريب . فقد هتف مروعا متزعجا وهو الذي كان يفاخر
بقوة الأعصاب وتمام الهدوء والجلد . وتخاذلت ساقاه فجأة حتى لم
يتمالك أن تهالك جالسا في مقعد قريب .

ذلك أنه ألقى نفسه ينصت إلى صوت رجل هو عدوه الألد وغريمه
القاتك . رجل كان هذا المحامي الكهل يعلم علم اليقين أنه ثلث في لحده
مستقر في قبره منذ سنوات ثلاث .

واسترسل للمتكلم الخفي في حديثه :

— يجيل إلى أنك هتفت خوفا وازطاجا ! . أم لعله سرورك
بإذعمت أنى لست في عداد الأموات ؟ !

فقال (جون ستوك) في نبرات متبلدة :

— أنى سرت في جنازتك وشهدت دفنك ! . وقد اشتركت قبل
ذلك في التعرف على جنتك في تحقيق البوليس مع غيرى ممن اشتركوا

به ! . وما أرى إلا أن هذا مزاح ثقيل من شخص يقلد صوتك بقصد
تخويبي وترويعي ! .

— إذن فهو هتاف الخوف الذي سمعته الآن منك ما في ذلك شك !
إنك لتحسن صنعا حين تخافني وتخشاني يا جون ، فأنى عازم

على القضاء عليك وتطهير الدنيا منك حالما أقضى على صهرك
اليوت فالكون ! !

أن يكون عذابك مضاعفا إذا أتيتك أن تتوقع منذ الآن ما سوف
يحل بك .. فأعلم إذن أنك لن تأمن بعد هذه اللحظة على حياتك وعلى
سلامتك .. إني سأبدأ بقتل صهرك (اليوت فالكون) .. حتى إذا
ووريت جشته التراب بالألابة والفضامة اللاتقنين بشخصه ، جاء دورك
من بعده على الاثر .

فلم يتالك جون ستوك أن بذل جهدا جهيدا لنيل أسباب الخوف
والاضطراب وقد أخجبه ان يكون هذا حاله إزاء رجل لا يراه ،
فقال له :

— ثق أنه لا يمكنك تخويفي يا ريتشارد ..

— إذن فلم أسمع صوتك يرتجف ؟ إنك خائف ما في ذلك شك ،
وأنا لم أعهد فيك من قبل الشجاعة والبطولة ، وطبيعي أن يتعلق
شخص نابه مشهور مثل (اليوت فالكون) بالحياة ويتشبث بأهدابها
حين يرى الموت يهدده .. أما أنت فمادفعك إلى التمسك بها ؟ أنت رجل
مجرد من زوجة تنده وولد يكيه .. وما أنت إلا شيخ أعزب أناي ،
لن يفترقه إنسان ولن يستوحش أحد غيابه من المجتمع ..

فأثار هذا الكلام نائرة السخط في نفس ستوك حتى ذهب يقول
لمهدده في هياج وغضب :

— إنك لشيطان خبيث وشقي لثيم ! وإذا توهمت أني سأضعف
أمامك فانك إذن لخدوع ! لقد أرسلناك إلى السجن قبل الآن ، وإنا

لم يحاول (جون ستوك) جديدا للتشكيك في شخصية المتحدث
إليه . فهو (ريتشارد أندروز جراي) ما في هذا ريب ولا مرأه ،
أو بالأحرى هو هذا الجبار الباطش الحارق الذكاء الذي حاول من
قبل أن يقضى على ابن عمه (اليوت فالكون) ، بل هو الرجل الذي
أقلت من جدران السجن لإتمام جريمته في عمد وإصرار ، وهو الرجل
الذي لم يكن جون ستوك يخشى أحدا في الدنيا مثاما يخشاه .. وقد
حسب ستوك حين اشترك في التعرف على جثة هذا الرجل وهي محطمة
مشوهة تحت عجلات السيارة التي دهمتها ان عهد الخوف من هذا الحصم
الجبار قد ولى وانقضى إلى حيث لا عود ولا رجعة . بل ظن هو وطن
(اليوت فالكون) انهما قد تخلصا إلى الأبد من شر قريبيهما وإمنا
كيديه ومكره ..

فسرعان ما تقوضت هذه الأحلام العراض في طرفة عين .. وإذا
جون ستوك يناجي نفسه بهذه الكلمات في غمضة مسموعة :
— لا شك أني كنت من الحالمين ! .. إني رأيت جثتك تحرق
رمادا ورحمت احمد الله على هذه النهاية !!
— يسرنى انك آمنت بأنى أنا الذي احذثك وقد خفت أن
تحسبنى غفرتنا من الجن او شيطانا متجسداً .
— وماذا تريد الآن منى ؟

— أنا رجل شريف فى انسابي ، حتى فى مسائل القتل ! وإنه
ليحلولى ان اندرك بأن الوقت قد حان لتنفيذ وعيدي ، وإني لأرجو

لقادرون على ردك إليه ، ولتثق أننا لن ندخر سعيًا ولا مالا في اقتناصك
وقص أجنحتك !

فأجاب صاحبه في صوت يفيض تهكما وسخرية:

— لكن (البيوت) لن يصدقك ولن يؤمن بكلامك .. ولن
تقول له أني تحدثت إليك تليفونيا بعد منتصف الليل ، أنا الذي شهد
(البيوت) وفاتي وإحراق جنتي ، حتى يتهكم في عقلك ويمدك في زمره
المجانين ! ولئن أخبرت البوليس لما ظنوك الا محبلا مختل الذمور !
والآن .. ان كانت لديك أسئلة أخرى فألقها قبل أن أختم هذه
المحادثة التي ستكلفني مالا كثيرا ..

فلما سمع ستوك ذكر المال خطر له بخاطر بجاني قد يكون فيه حل
المشكلة . فهو يعلم أن ريتشارد كان مبدرا متلافا ، وقد يكون الآن
في أمس الحاجة الى المال وخصوصا بعد أن حبل بينه وبين التصرف
في أمواله .

وكان ستوك من ناحية أخرى رجلا موفور الثراء عريض الغنى ،
ولذا قال لصاحبه في هدوء وبملاك :

— مهلا ياريتشارد . إن كنت في حاجة الى مال ففي امكاننا أن
تزودك منه بما يكفيك اذا أقت في الخارج وامسكت عن مضايقتنا .. أنت
في مستقبل العمر والحياة امامك مديدة تستمتع بها ما شاء لك الهوى ،
ولك أن تتصل بي في مكنتي بنيو يورك متى عدت اليه ، وأعدك ألا ابلغ
البوليس عنك واعمل على اعتقالك أو مطاردتك ..

فضحك ريتشارد ضحكة عريضة قائلا :

— ما أشد غفلتك اذ تحسبني اسمي طائعا الى شرك كهذا !
فقال ستوك :

— إنى أقسم لك على صدق ما أقول ..

فقاطعه ريتشارد قائلا في تبرم :

— دع عنك هذا الهذر .. أتحسب ان (البيوت) النابه الشريف
يقبل المفاوضة مع سجين هارب ؟ .. ألا فاعلم أني ميسور الحال ، عامر
الجيب .. وما انا بحاجة إلى مالك ولا الى مال (البيوت) . والمعروف
انك تمتلك نحو ثلاثة ملايين من الدولارات وان (البيوت) يمتلك نحو
عشرة ملايين .. فاذا كدستما هذه التروة امامي ثمتا لأفاد حياتكما لما
قابلتكما إلا بالضحك والاستهزاء ..

— إنى لا أراك إلا مجنونا فاقد الرشاد !

— ربما كنت على حق في نعتك إياي بالجنون يا حيون .. إنى طالعت
كثيراً من الكتب في مسائل العقل ، ويخيل إلى أني مصاب بأسمى الوان
الجنون وهو (جنون العظمة) على حد ما يقولون ! .. والواقع أني
خير منك ومن (البيوت) في كل شيء ، بل انا اعز مكانة واسمى نفسا
وأرفع تفكيراً وأرجح عقلا ! ..

والآن كفي هذا القدر .. إلى اللقاء .. ولن أكون وحدى
حين تراني .

— أخائف أنت مني ؟

— كلا البتة يا عزيزي جون .. سيكون معي صديق يطل عليك
من فوق منسكب .. واسمه (عزرائيل) !

* * *

وضع جون ستوك السماعة .. وجلس حيناً واجماً جامداً لا يحير
قولاً ولا عملاً .. حتى إذا شعر بالبرودة تتمشى في أطرافه دس في نار
للدفأة بعض الكتل الخشبية وجلس في مكانه يستمد من الحرارة
ما يقوم نفسه للتهاقنة وما يشدد عزمه الضمض حتى مطلع الفجر .
لقد سمع حكم الاعداء يتردد في سمعه دون أن يرى أمامه من الموت
مهرباً ولا عاصباً .. ولأنه يعلم قبل غيره من هو (ريتشارد أندروزجرى)
ذلك الرجل الصارم الجبار القاسى الذى ركز كل نشاطه في سبيل
تحقيق هذه الغاية دون أن تأخذه هواده ولا رحمة ..
ذلك وهو عاجز عن التماس ما يدفع به هذا الخطر الداهم عن شخصه
وعن المخلوقين الذين لا يحب في الدنيا سواها : شقيقته (سيلفيا فالكون)
وزوجها (اليوت) .. فانهما رغم هذه المحبة الكبيرة التى يختصهما بها
لا يترددان في نعته بالجنون حين يزعم لها أنه قد تحدث إلى مخلوق هو
في عداد الأموات ، وقد شهد بموته ابن عمه (اليوت) الذى نشأ وربى
معه منذ الطفولة ، كما شهد بذلك طبيب العائلة وجون ستوك أيضاً !
وظل ستوك طيبة نهاره حائراً مضطرباً لا يدري كيف يدفع الخطر
عن نفسه وعن ذويه ، ومن من الناس يشاوره في هذه الضائقة دون أن
يرتاب في عقله وبتهمه فى رشده !!

حتى إذا كان العصر وقد جلس يتطلع إلى البحيرة إذ رأى قارباً
أيضاً يمحى عباب الماء قرب الشاطئ ، فدعا وصيفه (تامبر) وأمره
بإحضار منظره المكبر قائلاً :

— من هذا الذى فى القارب الأبيض ؟ . لئى أريد أن أطمئن .
فنظر (تامبر) ملياً ، فألبث أن عرف فى راكب القارب شخصية
كان يعجب بها أشد الإعجاب .

وقد أجاب (تامبر) فى إفعال رداً على سؤال سيده :

— هو مستر مارتن ديل (أرسين لو بين) .. وقد سمعت أنه سيجىء

للصيد فى محلته ، ولكنى لم أكن أعلم أنه وصل فعلاً .

ومضى الوصيف لشأنه وهو يعجب من إهتمام سيده بالنظر والتحديق
إلى شخص كان يعلم أنه ينفر منه ولا يسترخ إليه .

والواقع أن نفور جون ستوك من مارتن ديل يرجع إلى أعوام
ثلاثة ماضية حين جاء ديل إلى الجزيرة ونافس ستوك فى شراء (محلة
الصيد) القائمة قرب الشاطئ ، وظفر بها دونه وقد كان ستوك يطمع
أن تكون له ..

بل كان جون ستوك يحمل على مارتن ديل ويستصغر شأنه حين
علم أنه مولع بالكشف عن القضايا الجنائية الغامضة وهو لا يقيم لهذه
الأمر وزناً ولا يعدها إلا من قبيل الصفائر والصبيان ..

فكيف به الآن وقد دارت الدائرة ووقع فى هذا الخطر الذى قد
لا يكون منه مخرج إلا بالاتجاه إلى مساعدة هذا المغامر الهاوى الذى

كان يزدريه ويستصغر شأنه؟ .. وماذا يكون من أمر مارتن ديل حين يراه يبادره الآن بالخضوع وحين يذهب يلتمس مشورته وعونه؟ ألا يزيد كبرياء وتعاضها وشموخا ويشتط فيما سوف يقتضيه من أجر لقاء هذه الخدمات؟ ..

لم يشك جون ستوك في ذلك .. لكن هذا لم يمنعه أن يدوس على كافة الإعتبارات ، وأن يعمل على الإتصال تليفونياً بجاره في (محلة الصيد) ، وقد بادره قائلاً :

— مستر ديل .. أود أن أستشيرك في مسألة خطيرة .. وإذا لم يكن بوسعك الحضور .. وأنا لألومك إذا لم تحضر حقاً ، فهل يمكن أن أذهب اليك في محلتك .. إنني في الواقع أريد أن أسألك معروفاً .. والحق أن مارتن ديل دهش من هذه اللهجة التي سمعها من محمته . فقد كان يعلم أن جون ستوك رجل من ذوى المسكانة في الأوساط الإجتماعية الراقية ، وهو بهذا الوصف أبعد الناس عن الإلتجاء في حديثه إلى أسلوب الإتهال والاستعطاف ، بل إلى لهجة الخوف والإنزعاج التي سمعها الآن منه . ومهما يكن ، فإن مارتن ديل أجابه قائلاً :

— بل يحسن أن تجيء إلى .. سأرسل اليك خادمي (جيلز) في الساعة الثامنة .

— أنا مدين لك بأعمق الشكر يا مستر ديل .

— لا موجب للشكر .. فاني الآن في أجازة ، ولا أعتقد أنني على استعداد لبحث قضيتك أو أية قضية أخرى .

— لكن هذه المسألة على جانب عظيم من الأهمية والخطورة . فلم يمالك مارتن ديل أن يتسم وقد طالما سمع هذا النوع يطلق على أغلب المشاكل اليسيرة . وأجاب محمته قائلاً :

— لن أبخل عليك بالرأى والمشورة وإن كنت لا أعتقد أنني سأتولى درس القضية . فإنه لا يغريني بالخرّوج من عزيتي إلا حادث خارق حقاً . فقال له جون ستوك :

— هذه هي القضية التي ستفعلك بأن من كانت له مواهبك العظيمة لا يركن إلى العزلة إطلاقاً ! .

الفصل الثاني

عناصر القضية

استقبل مارتن ديل زائرته باسمها ودعاه إلى الجلوس قائلاً :

— إذن فأت تحسب هذه القضية من الخطورة بما تتضاءل بجانبه سائر المشكلات والقضايا ! . أصارحك بأني طالما سمعت هذا الوصف من غيرك ، وكانت النتيجة لا تعدو غالباً حد التجسيم والمبالغة . لعل أحداً هددك بشيء ..

فأجاب جون ستوك وقد أشفق من ظواهر الاستخفاف التي طالعتها في حديث مضيفه .

— إنني مهدد بالموت ..

فلم يزد مارتن عن قوله في هدوء وبساطة : هلا حدثتني بما وقع . فقال المحامي الشيخ في لهفة : وهل تتولى القضية إذا حدثتك .

— أنا لأعد بشيء . فانتى لا أتولى إلا القضايا الشاذة الخارجة عن دائرة السألوف . وقبل أن تقرأ فى حديثك أحب أن أصحح خطأ شائعاً . فانتى لا أتولى قضايا ما وراء . وإنما أفعل ما أفعل للذة البحث والإستقصاء . — هذه أريحية منك .

وكان مارتين ديل يعلم طرفاً من سيرة جون ستوك قبل أن يأخذ هذا فى سرد قصته . وكان يعلم أن لهذا المحامى شقيقة صغرى تزوجت من (البيوت فالكون) المالى الساقى وبطل لعبة (البولو) الأشهر الذى أوفده رئيس الولايات المتحدة فى بعثة ودية إلى جمهوريات أمريكا الجنوبية فكان لديها خير مبعوث وأكرم سفير . كما كان يعلم أن (البيوت فالكون) يمتلك قصراً منيفاً وضيقاً كبيرة فى ولاية (نيوجرسى) لعلمها ألغم ما اقتناه سرارة الأمريكيين .

ومها يكن فان ستوك أنشأ يسرد قصته قائلاً :

— فى الساعة الثانية من صباح اليوم استيقظت من نرمى على نداء تليفونى صاد من فندق (ليكونفيلد) فى نيويورك . فإذا الذى يحدثنى رجل هو فى عداد الأموات منذ ثلاث سنين .

— لملك تعنى أن الذى حدثك رجل كنت تحسبه فى عداد الأموات منذ ثلاث سنين ، فان هذا الوصف أقرب إلى المعقول .

— هذا ما قصدت يامستر ديل . لكننى توهمت ومازلت فى تلك الساعة تحت تأثير النوم أن الذى يحدثنى هو رجل من الأموات حقاً . — ومن هو ؟

— هو (ريتشارد اندروز جراى) ، ابن عم (البيوت فالكون) وكنت أعرفه تمام المرفقة منذ نعومة أظفاره ، ولم أكن أطمئن إليه حقاً لما كنت أتوسم من خبث طويته وفساد طبعه .

وقد تعرفنا على جثته منذ ثلاثة أعوام حين دهمته سيارة نقل ذات لية فى طريق (بوسطون) وما كان محتملاً أن يداخلنا الخطأ فى هذا فقد وجدنا خاتمه المنقوش باسمه الذى لم يكن يفارق قط خنصر يسراه وشاهدنا به جرحاً قديماً معروف فى جسده والفينا اسمه مخيطة فى سترته ووجدنا فى جيوبه جواز سفره وأوراقه الخاصة ومعها رسالة معنونة إلى (البيوت) لم يكن أصدرها بعد . وكانت الجنة فى طرله ولها معاملته وبنيته ولون بشرته . وأنا بطبعى أنفر من شهود الجنازات ، ولكننى تنفست الصعداء حين شهدت هذه الجنزة رأيت جثته تذهب طعمة للنيران .

— إذن فقد احترقت جثته ؟ . . ولم ؟ . .

— طبقاً لرغبته التى عبر عنها فيما ترك من أوراق .

فقال مارتين ديل : يا للبراعة ! . . فانه لا يتيسر بعد ذلك استخراج الجنة من مدفنها وعرضها على أنظار الاخصائيين ! . . . قص على كل ما تعرفه عن (جراى) هذا .

فقال ستوك : إن (جراى) نشأ فى رعاية (ادموند فالكون) والد (البيوت) وتحت وصايته . . . وقد شب وترعرع مع ابن عمه (البيوت) فى ربوع قصر الأسرة المعروف باسم (فالكونهرست) ، وتخرج معه فى معاهد علمية واحدة ، وإن كان تفوق البيوت فى (مضار) الألعاب

الرياضية بحكم تكوينه الجسدي الكامل قد أثار في نفس (جرای) حفيظة كانت أول الأمر مستسرة كامنة .

وقد اضطلع (اليوت) بأعمال والده المالية بعد وفاته . أما (ريتشارد) فقد استأثر بثروته الخاصة التي أصبحت رهن تصرفه بعد زوال الوصاية عنه ، وانتقل إلى باريس حيث بدد ثروته بين اليسر والنساء اللأئي كان له حظوة عندهن لوسامته وصباحته .

وعاد ريتشارد من فرنسا وهو أقرب إلى الإفلاس منه إلى شيء آخر . فبدأ لإين عمه (اليوت) أن يصلح حاله ما استطاع ، فعهد إليه بإدارة مزارع الأسرة في ولاية (نيواجلند) نظير مرتب كبير ، وكان ريتشارد من ناحية قد ندم على ماضيه أو أظهر الندم ، وأراد أن يطلق حياة اللهو والعبث وأن يهجر المدن الكبيرة الصاخبة وأخوان السوء والفساد . أو هو على الأقل راح يحاول إيهام (اليوت) بصدقه وإخلاقه . — أو لم يكن صادقا مخلصاً ؟ .

— الحق يامستر ديل أن ريتشارد لم يعرف معنى الصدق والاخلاص في حياته ، ولم يكن يؤمن إلا بتفوقه الشخصي ولا يضمن إلا العزم الراسخ على التضحية بكل إنسان وكل شيء في سبيل تحقيق هدف التفوق . . وقد علم (اليوت) من محام مغبور أقره ريتشارد في عالم الميسر أن ريتشارد لجأ أعواما كثيرة إلى النصب وتبديد الأموال وأنه كان يستر نصبه وتبديده بالتزوير في الحسابات التي يشرف عليها . ورغم ذلك فقد كان (اليوت) على استعداد للتغاضي عن هذا ، له لا

أن هذا النصب امتد إلى أشخاص آخرين غير (اليوت) ، ومن ثم أبلغ الأمر إلى القضاء .

ومهما يكن فإن الحكم الشديد الذي ناله (ريتشارد) كان مرجعه إلى مساسه بإزاء المحكمة أكثر منه إلى جرائمه المالية . فانه أهان القاضي واستهزأ بالمخلفين . وقد بدأ في المحكمة وكأنما فقد كل عقل واتزان . فقد أقسم أن يفلت من السجن وأن يقتل (اليوت) ثم يقتلني .

والواقع أنه لم يحدث بقسمه . فانه لم يكذب يفر من السجن حتى تربص لاليوت ذات ليلة وضره بألة حادة على رأسه وكان ينوي قتله لولا أن (سيلفيا) سمعت صوت سقوط زوجها وهرعت لنجدته . ومع ذلك فقد تكتم (اليوت) هذا الحادث وزعم للناس أن أثر الجرح هو نتيجة سقطة وهو يلعب (البولو) حين كان في المجلتر .

— أو لم يحاول (اليوت) اقتناص (ريتشارد) وتقليم أظفاره . — إنه فعل كل شيء ممكن في هذا الصدد . وقد قت بصيبي معه أيضا . لكن ريتشارد اختفى عن العيان ولم نسمع به إلى حين أبلغنا ذات يوم منذ ثلاثة أعوام أن جثته وجدت ملقاة في طريق (بوسطون) — إن إثبات شخصيته بواسطة بصمات الأصابع كان يمكن أن يقطع كل شك في حقيقته ، وهو مجرم سابق . فهل أنهم من هذا أن البوليس تهاون في هذه المسألة ولديه سوابق ؟

فقال ستوك : أن عجلات السيارة قد مرت فوق يديه فهشمتها

حتى اختلط العظم باللحم ، واستحال على البوليس أن يجد
بصمات يحقها .

فقال مارتن ديل :

— والأسنان . أن فيها دليلا مبينا .

— أن وجهه قد شوه تشويها منسكرا حتى لم تبق فيه معالم .
وكل ما استطاع الاخصائيون قوله هو أن أسنانه كانت في حالة سليمة
حين مصرعه . وقد وجدوا به جرحا من أثر عضة كلب كان يعذبه
في حياته .

ولم يتالك ستوك أن راح يتطلع إلى مارتن ديل منذهلا . فقد
الفاه قد زال عنه ضجره ولاحظ عليه علائم الاهتمام المتزايد ولعت
عيناه لمعانا ، وقال له :

— أنى بدأت أعجب بصاحبك ريتشارد أندروز جراى هذا . فهو
يحسب لكل شيء حسابا .. ولكن أخبرنى . ما الذى حمله على أن ينتظر
ثلاثة أعوام بعد فراره من السجن قبل أن يعود إلى الظهور .

— إن هذا ما يحيرنى حقا .

— إنه كرس هذه المدة للبحث عن شخص يماثله طولا وبنية ولونا
حتى لا يرتاب أحد فى أن الجثة ليست جثته . ثم كان عليه أيضا أن
يتحرى فى ضائقه سلامة الأسنان وهذا شيء نادر فى الرجال بعد
الخمسين . ألم يكن يناهز هذه السن ؟

— أنه يبلغ الثامنة والأربعين بعد شهر . لكن ما قولك فى

الجرح القديم

— هذا شيء سهل يسير . فان ريتشارد أحدث جرحا مشابها
فى ضيقته .. وقد كان يمكن لاختصاصيين تحديد عمر الجرح ، بيد أن
أحدا لم يفكر فى لزوم شيء كهذا لانتفاء أسباب الشك .. وبهذه
المناسبة ، هل أسفر تشريح الجثة عن وجود مخدر ؟
فلم يتالك ستوك أن أجاب قائلا :

— ما أغرب هذا السؤال ! . . نعم . فقد قيل ان ريتشارد
تناول بعض العقاقير المنومة علاجا للأرق ، إذ وجدت آثار مخدر
فى الجثة .

فلاحت سماء الظفر على محيا مارتن ديل وقال :

— المسألة سهلة يسيرة . فان ريتشارد اهتدى إلى الرجل الذى
يماثله ، وبادله ملابسه ، ثم سرق أو استأجر أو استعار سيارة نقل
ودس للرجل مخدرا ومدده على الأرض ، ثم مر بالسيارة متمهلا
مشدا فوق يديه ، وعاد فربها على وجهه . . هل تعرف شيئا عن
سيارة النقل ؟

— إن البوليس حقق هذه النقطة . فتبين له أن سائق السيارة
دعى إلى تناول الشراب مع رجل غريب لا يعرفه وغاب عن صوابه .
ولما عاد إلى وعيه ألقى السيارة فى مكانها الأول ولكنه وجد آثار
دماء على عجلاتها . وقد بدا للبوليس أن الرجل يكذب وكاد أن

فقال مارتن ديل :

— إن هذه المحادثة التليفونية لم تصدر من نيويورك ، فاني قد تحدثت الآن إلى عاملة التليفون المحلية التي بدأت نوبتها عند منتصف الليل ، فانهيت إلى النتيجة التي ذكرتها لك .

فاعترض جون ستوك قائلاً :

— إني أنكلم بما سمعته اذناي ! .

— وأنت قد سمعت ما أراذ غيرك أن تسمعه ، وهو شيء آخر . .

أني تحريت هذه المحادثة التليفونية فوجدتها لم تصدر من مدينة كبيرة وإنما صدرت من بيت قائم في هذه الجزيرة ، هو محلة (اديسون) التي لا يتعد عن هنا أكثر من ميلين .. لا تزعم ، ولكن عليك أن تعلم أن ريتشارد جراي كان على قيد أميال قليلة منك ، وربما كان ما يزال هناك .

استولى الغم والانتباض على المحامي الشيخ ، ولم يستبعد أن يلجأ ريتشارد إلى هذه الحيلة في مخادعته وهو بارع في تقليد الأصوات لا يعتذر عليه أن يقلد أصوات الفتيات ، وقال لصاحبه :

— ربما كنت على صواب .

فقال مارتن ديل في تيرم :

— بل أنا على صواب .. وكان ينبغي أن تتبع مصدر هذه المحادثة

بنفسك لتعرف وجه الحقيفة فيها ، ومنها يمكن أن الخطر جاثم حولك وقد ينقض عليك ريتشارد بين ساعة وأخرى . وما قوله لك إنه سيبدأ بالقضاء على (البيوت) أولاً ثم يتنى بك إلا من قبيل الخداع حتى تهمل

يعتقله لولا أنه لم يجد عنده أدلة كافية ، هذا إلى أن (البيوت) عاجل القضية بما أسدل عليها الستار .

فقال مارتن ديل :

— يبدو لي يا مستر ستوك أنك مستهدف لخطر كبير كالذي تصورته .

ونهمز وأردف قائلاً :

— إني أستاذك برهة ريثما أرى خادمي جيلز في مسألة معينة .

والحق أن ستوك قد خامره الابتهاج إلى حد ما . فقد ألنى مارتن ديل آمن بقصته ورجا أن يكون هذا فاتحة لاضطلاعه بتحقيق القضية ، وخصوصاً بعد أن سمعه يدلي بما أدلى من استنتاجات عجيبة حقاً عن ريتشارد .

ولم يغب مارتن ديل عن الغرفة أكثر من خمس دقائق ، فلما عاد كان يتسم . وما لبث أن جلس بجانب المدفأة وأشعل غليونه قائلاً :

— أوافق أنت أن الذي حدثك بالتليفون هو (جراي) ؟

— كل الثقة .

— وما الذي يحملك على الاعتقاد بأنه خاطبك من فندق

(ليكوفيلد) ؟

— إني سمعت صوت عاملة تليفون تردد اسم (فندق ليكوفيلد)

مرة واثنين . وأعقب ذلك فترة سكون ثم سمعت ريتشارد يتحدث إلى

وقبيل ختام المحادثة قرر لي ريتشارد أنها ستكون كثيرة لظول

ما استغرقت من الزمن .

في الحذر والحيطه فيأخذك على غرة .

— وما العمل إذن ؟

— يحسن أن تذهب معي إلى محلة أديسون .. أتى قابلته منذ يوم فوجدته مرافقا وصيفته إلى دار ابنتها قبل أن يذهب مع زوجته إلى حفلة زفاف في (بروكلين) . وقد ذهبوا جميعا في السيارة وكذلك تركوا المحلة خالية ، فهل كان ريتشارد يعلم كل هذا ؟

— إن ريتشارد كان يعرف أديسون وزوجته معرفة وثيقة . وقد أقام في دارها حينما من الزمن عقب عودته من باريس وقبل أن يتولى إدارة مزارع (اليوت) ، لكنه كان رجلا فاجرا لا يبقى على عهد ولا يرعى حرمة .. لقد سعى إلى اغواء زوجة أديسون ، وكانت النتيجة ان أديسون طرده من بيته شر طردة ..

واستدرك ستوك قائلا :

— أتظن أن ريتشارد محتبى الآن في محله اديسون ؟

— لا اظن .. فهو يدرك انك ستبتع مصدر المحادثة التليفونية ، ومن ثم يهجرها ، لكنه قد يكون بها .

فقال ستوك وقد اتناه الخوف من عدوه :

— ربما كان في ذهابنا خطر داهم ، فهو رجل شديد القوة موفور النشاط بارع الرماية .

— لا مفر من معالجة كافة الأسباب والوسائط ، في وسعك أن تبقى هنا إذا آثرت هذا .. وسأترك معك مسدسا لحمايةك .

— ان البقاء مرهق لأعصابي .. فربما كان لي بالمرصاد .. حتى إذا أصرفت عنى داهمني وقضى على .. كلا .. سأذهب معك .

وهكذا استقل مارتن ديل قاربه الأبيض ومعه جون ستوك وخادمه جيلز وقد اشتاقت نفسه للعفامرات ، ووجد في شخص (ريتشارد جراى) المجرم الجبار الذى يذله أن يصاوله ويقارعه .

وما كاد القارب يدنو من الشاطئ على مقربة من مزرعة أديسون حتى همس ستوك في أذن مارتن ديل قائلا :

— إذا كان ريتشارد محتبياً في مزرعة أديسون فانتا ونحن كذلك نكون تحت رحمته ..

— لا تخف .. فلن نهاجمه من أمام ونطلب اليه التسليم .. أن هذه الأمور مألوفة عندى .. انى لا أعتقد أننا واجدوه في المزرعة .. فهناك مسائل هامة تشغله في نيويورك .

— وكيف ذلك ؟ ..

— إذا صححت البيانات التى أدليت بها الى فانه سيذهب إلى الميناء في انتظار عودة صهره (اليوت) من انجلترا .. ذلك لأنه واجد في غمار المهرج الذى يقترن بوصوله البواخر الكبرى إلى الميناء كافة الفرص التى تتيح له تحقيق اغراضه الآتية .

— ان كلامك لا يبعث على الطمأنينة .

— ليس فى نيتى أن أكون مطمئنا .. فان الخطر كل الخطر فى الطمأنينة وتبد أسباب الحذر .

وتسلل ثلاثتهم إلى دار اديسون من باب خلفي عاجلة مارتن ديل
ببراعته للعبودة وهو الذي تفتتح أمامه الأبواب في غير استعصاء ولا
عناء وكانما هو ساحر قدير . ثم انعطفت إلى البهو في سكون وخفة
فألغاه خاويًا .. ولم يجد أحدا في سائر الغرف التي طرقتها على الأثر .
حتى إذا بلغ المطبخ إذا هو مشوش وبه صحاف ملوثة وبقايا طعام
وقهوة .

وجأة هتف ستوك قائلا :

— ان ريتشارد كان هنا ياديل ! .. فهذه عين الرسالة التي يتركها
مثله ! ..

فتناول مارتن ديل الرسالة المكتوبة على الآلة التي كان مثبتا بها
ورقة مالية من فئة خمسة ريالات ، وإذا هي موجهة إلى اديسون
وزوجته بالنص التالي :

« اليكم أجرة النوم والأكل .. فأما الفراش فقير وثير ، وأما
الطعام فقير سائح .. وفي وسعي أن أؤكد لكم أن (الكونياك)
لم يشهد مدينة (شارنت) رغم البطاقة الملققة المزورة الملصقة على
الزجاجة .. ولو وجدت عندكم سجلا للزيارات لوقعت باسمي .. أما ولم
أجده ، فسأبقى ضيفا ساخطا » .

فقال مارتن ديل :

— ياله من شخصية لطيفة !

— وماذا أفعل الآن وقد ذهب ؟

— تعود معي إلى نيويورك بالطائرة غدا .. وستترك (جيلز)
يزيل آثار النولية الاجبارية ويسوى كل شيء ، فانه لا فائدة من ترك اديسون
يعلم بما كان .. فهو قد استدعى البوليس ويشير ضجة لاموجب لها ..
وانتقل مارتن ديل مع ستوك إلى البهو يتحدثان في تفاصيل رحلتها
اللزجة إلى نيويورك تاركين (جيلز) يقوم بمهمته ويطوى الورقة
في جيبه .

وقال مارتن ديل لصاحبه :

— إني سأطارد صاحبك ريتشارد لاقتناصه . فهلا حدثتني قبل
كل شيء عن أوصافه ؟ .

فأجاب ستوك :

— إنه يناهز في طوله خمسة أقدام وخمس بوصات . وهو قوى
البنية . مفتول العود . موفور النشاط . جم الحركة . وهو عسلي العينين
ثاقب النظرات . وهو أسود الشعر متموجه .

— لا ريب أن هذه الأوصاف قابلة للتبديل والتغيير . وإذا صح
ما حدثتني به عنه فأغلب الظن أنه قد اصطنع لنفسه هيئة جديدة
وتمسك في إهاب آخر .

— وكيف تطمع أن تعثر عليه في غمار الملايين من سكان نيويورك؟
— لن نبحت عنه جهاراً ، ولكننا سنكون عن كسب من الطعام
اغنى (البوت) . هناك شيء واحد يقلقني . فربما علم أنك جئت
لاستشارتي . ومهما يكن ، فدحن لا نجزم بأنه ذهب بعيداً عن الجزيرة

فلم يتالك جون ستوك حين سمع هذا النذير أن أخذته رعدة .
لقد خال نفسه بنجوة من كل خطر ! .

المصل الثالث

فالكونه رست

وقف مارتن ديل يراقب (البيوت فالكون) وهو يهبط من
سلم الباخرة ، فألفاء بادى المهابة حقا . تهوى العين مرآه .
فهو طويل القامة ، فارغ العود ، أشقر البشرة ، ذو محيا أنيق بديع
التسكويين .

ولم يجد مارتن ديل عناء في التعرف على مدام فالكون أيضا
لكثرة ما رأى صورتها في الصحف ، وكانت هيفاء القدر سمراء اللون
نحية رشيقة تفيض ابتساماً وإشراقاً وسناء .
ووقف جون ستوك في عداد المستقبلين تلوح عليه أمارات القلق
وراح يتطلع حوالبه بين فينة وأخرى وكأنما كان يتوقع أن يرى غريمه
ينقض من حيث لا يحتسب .

ولم يكن مارتن ديل يقل عن جون ستوك اهتماماً بالثقت والبحث
فيما حول مكان الاستقبال على رصيف الميناء ، بيد أنه لم يصادف احداً
يمت بأواصر المشابهة لشخص ريتشارد أندروز جراى .

وعلى حين غرة ، وقع مالم يكن يدور في حسابان مارتن ديل ،
حتى حسب أن نهاية (البيوت فالكون) قد دنت حقا .

فقد كان فالكون موليا ظهره إلى صف من الصناديق المكسدة

بعضها فوق بعض على الرصيف ، وإذا نقالة صغيرة من ذوات المحركات
تصطدم بالصناديق ، فهوى صندوق منها ، فكاد يسحق فالكون تحته . لولا
أن وثب من بين الواقفين رجل زرى الهيئة ، رث الثياب ، فدفع
فالكون عن طريق الصندوق الهاوى دفعة أنقذت حياته ، غير مبال
بما كان يمكن أن يصيبه هو من جراء هذه المحاولة .

بيد أن فالكون لم ينبج كل النجاة . فقد أصابه جانب من
الصندوق في قدمه اليمنى أصابه احتملها في صبر وجلد لكيلا ترزعج
زوجته ، واثنى إلى سيارته يدلف إليها وهو يعرج في مشيته .

وتخلف جون ستوك عن صاحبيه ووقف بعد انصراف سيارتهما
يفكر في هذا الحادث ويكاد يرى فيه أصعب ريتشارد وتديره الشيطانى
وقد عجب من غياب مارتن ديل وهو لم يبصره فيما حوله .

وبينما هو يهيم بالانصراف إذ وقع نظره على رجل زرى الهيئة ، رث
الثياب ذى خطاف حديدى مدلى من عنقه شأن العاملين على رصيف
الميناء ، فتقدم إليه ستوك فى مودة كبيرة وقال له :

— إني أود أن أشكرك كثيراً لما أظهرت من سرعة وشجاعة
أيمكن أن أقدم إليك شيئا يسيراً ؟ .

فأجاب الرجل فى بساطة :

— شكراً يا سيدى .. أنا لا أمانع فى قبول ماتجوده به ، ولكنى
لم أفعل ما فعلت طلباً للمكافأة ، أن هذا السيد المسكين كاد يسحق
سحقاً تحت الصندوق لولا أنى أبعدته عن طريقه ، لكن يا سيدى . . .

هذه ورقة من فئة الخمسين!؟

— بل هي قليلة بالنسبة إلى ما تستحق .

واستقل ستوك سيارة قصدت به إلى المدينة .

* * *

وقصد مارتن ديل إلى جون ستوك في مسكنه الفخم في (بارك اينيو)

فوجده مضطربا ، كثير الجزع ، إذ قال لزائره :

— أن البيوت أصيب بجروح بالغة ، فقد كسرت ثلاث أصابع

في قدمه .

فقال مارتن ديل :

— ليس في هذا ما يدهشني ، فقد رأيته إذا ذاك تمتع الوجه .

— أتى لم أراك على الرصيف ! .

— لقد وقفت بعزل لعل أجد أثرا لريتشارد .

— في اعتقادي أن الرجل الذي كان يقود تلك النقالة هو ريتشارد

ذاته ، فقد كان الحادث أقرب إلى العمد والتدمير .

فقال مارتن ديل :

— كلا . إنني تحدثت إلى الرجل ، فوجدته يجهل حتى أنه فعل

شيئا . ولم يكن جديدا عليه أن يصطدم بالصاديق المكسدة في مثل

ذلك المكان المكتظ .. وقد عرفت اسمه ومحل إقامته ، ورأيت أسود

العينين ، غير صحيح الأسنان ، يبلغ طوله خمسة أقدام وعشر بوصات ،

وهي جميعا تخالف أوصاف ريتشارد .

وقال ستوك حين ناوله مارتن ديل ورقة مالية من ذات الخمسين

ريالا : ما هذه ؟

— لقد قلت لي حين أعطينتها ، إنها قليلة بالنسبة إلى ما أستحق .

— إذن فقد كنت أنت ذلك العامل الزرى الهيشة ، الرث الثياب !؟

ولكن كيف فعلت هذا ؟

— أن ريتشارد ليس وحده البارع في التسكر والاستخفاء .

— لكني رأيته مهدل الفم ، مصفر الأسنان !

— هذه أشياء سهلة يسيرة .

— أنك أتقنت حياة (البيوت) ، وأن امتانتي لك لا يبلغه حصر .

فتجاهل مارتن ديل هذا الثناء قائلا :

— أهو في المستشفى ؟

— لقد أبلغتني سيلفيا أنه يأبى الذهاب إلى المستشفى .

— ألم يعلم بموضوع ريتشارد بعد .

— لأدري ، فإني لم أجد فرصة لمحادثة على انفراد . ولذلك كتبت

تقريراً بموضوع المحادثة التليفونية وأسلمته إلى سيلفيا لكي تقدمه إليه .

ومها يكن فأنا الآن في انتظار حديث تليفوني من سيلفيا أقف

به على مامم . . .

وإذ تم هذا الحديث التليفوني بين ستوك وشقيقته رأى مارتن ديل

في ملاح صاحبها مادله على سوء الأنباء التي تلقاها ، إذ قال ستوك في

نهاية الحديث :

— انا قادم حالا . سأذهب في سيارة صديقي مستر مارتن ديل .
إلى اللتقي يا عزيزتي . فسأله مارتن ديل :
— أمي أبناء سيئة ؟
— نعم . فقد بتر له الجراحون أصبعين من قدمه وهم ينهون عن
زيارته إلا لزوجه . وهي لم تقرأ له التقرير الذي كتبته . فما أنكد
هذا حقاً .. إنها لا يقدران مدى الخطر المسحق الذي يهددها ، وقد
يكون في تهاونها عن اتخاذ الحيطة ما يتيح الفرصة التي يترقبها ريتشارد .
— في إعتقادي أنه سيقدر انك حذرت فالكون ، ولن يكون
من البلاهة بحيث يتعجل العمل . إن سيارتي تنتظر . هلم بنا .
وقصدت بها السيارة إلى (فالكونهرست) في ضواحي نيويورك ،
فأذا هو قصر منيف ، رحب الجنبات ، رائحة الأثاث والرياش . وما كاد مارتن
ديل يستقر في البهو الداخلى حتى استأذنه جون ستوك للإطمئنان على
حالة صهره وتركه يتناول المرطبات واعداء بالعودة بعد قليل .
وبعد نصف ساعة دعى مارتن ديل إلى التحدث في التليفون ، فأذا
جون ستوك يقول له في صوت ينم عن شدة الإفعال .
— يؤسفنى أنى حجزتك كل هذه المدة . لكننى لم أفرغ بعد .
— لا تتعجل . إن المقام هنا طيب . هل أخبرتها ؟
فأجاب ستوك في صوت هو أقرب إلى العويل : نعم . . . لكننا لم
تصدق قضى ، وقالت إنها واثقة أن البوت لن يصدقها . وهو قد استيقظ
الآن وسأجتمع به لحظة ، لكننى وعدت ألا أقول له شيئاً يزججه .

واقبلت سيلفيا بعد قليل ترحب بضيفها في حفاوة كريمة وتعرب
عن سرورها بهذه الفرصة الثمينة التي تهىء لها الإلتفاع بمساعدة مارتن
ديل . حتى إذا تبسط معها في الحديث الفاها تنكر قصة شقيقها جون
ستوك وتستبعد وجود ريتشارد على قيد الحياة ، فلم يشأ ، تأدبا منه ،
أن يمضى معها فى نقاش لاجدوى فيه وقال لها :

— لقد قلت انك أردت الإلتفاع بمساعدتى لكم . فإن لم تكن
هذه المساعدة لدفع شر ريتشارد فلاين تكون للمساعدة إذن ؟ .

— انى أشكر لك ما تبدي من رحابة الصدر والتسامح . لكننى
سأحدثك ببساطة فى شأن المساعدة التي أطمع فيها عندك . فهناك بلدة
صغيرة قريبة من (فالكونهرست) تدعى (ادجفيل) كان والد زوجى
قد أنشأها على عهد عهده بالحياة لمساعدته فيما كان يشرع فيه من شئون الزراعة
والغابات والصيد . وفى هذه البلدة أناس كثيرون يضمرون لنا العداوة
والبغض ويتربصون بنا الدوائر .

— هذا كلام غريب . فقد أخبرنى شقيقك فى سياق أحاديثه أن
للرحوم آدموند فالكون والد زوجك كان دائماً برأبمؤاجريه ، محسناً اليهم .
— لكن ماقلته لك صحيح . ألم يوص الإنسان بأن « يتقى شر من
أحسن اليه » ؟ . إن أهل البلدة ظلوا أوعاماً مديدة يعملون فى عيشهم
علينا . فهناك مثلاً (كانز) القصاب الذى جعل يمدنا باللحوم الرديئة
ويتقاضى الأثمان للضائعة مما جعلنا نعامل غيره فى بلدة (انجلوود) ..

وما قيل عن هذا يقال أيضا عن (برانيجان) تاجر الخردوات، وعن غيره من الباعة والتجار ..

— وكذلك تم أهل البلدة منكم وحقوا عليكم .. هكذا طباع الناس. — ثم هناك الأخوان (داليس) .. وهما مخلوقان غريبان خطران يرتزمان بأناشيد الخقد علينا أيضاً، وإن كان يقمان مع أمهما في أرض وهمم أياها والد زوجي .. وهناك أيضاً آل (سوانسون) وهم غير أصدقاء لنا .. ولهم على الناس تأثير عظيم .

— أتقصدين بهذا الكلام أنك تخافين من عدوان يقع على زوجك . — آه .. لا .. فان (اليوت) قادر كل القدرة على الدفاع عن نفسه ولا يخاف أحداً . ولما حدثته عن أسباب قلقي من ناحية (ادجفيل) وأهلها ضحك من مخاوفي وقال إن الأمر كله لا يخرج عن حيز الكلام . — إذن فما الذي يزعجك يا مدام فالكون ؟

فتلفتت حولها كأنما تشفق من استراق السمع، وأجابت :

— إن (اليوت) شديد التعلق بهذا القصر إلى أقصى الحدود، ولا يقل أنبأني عن والدهم في هذا المقام . وقد جمعنا به من نفائس التحف كل ما اقتنيناه في أسفارتنا . وكل رجائي يا مستر ديل الاتفضى بكلامي هذا إلى أحد، حتى ولا إلى جون شقيقى . بل أنى أخفيه حتى عن زوجي والواقع أنه قد وقعت ثلاث محاولات لإحراقه وتدميره، ولولا يقظة (انجرام) المشرف على حدائق القصر ومبادرته في كل مرة لإخاد النار لأنفج المعتدون في أشراطهم الآتية . ومع أنه لم يعرف من منهم

تفاعل إلا أنه واثق من بعض ما يسمعه من الأحاديث حين يختلف إلى لب (الكريكيت) في نادى (سوانسون) أن المعتدين هم من أهل البلدة. — من رأي أن الواجب يقضى في مثل هذه الحال بالمبادرة إلى إبلاغ البوليس .

— إن (انجرام) ضد هذا الرأي لأنه لا دليل لدينا على اداة أحد بعينه . ولذلك فقد اكتفى بيث الحراس حول القصر ريثما يتجرى ويستقصى . فقال مارتن ديل :

— وكيف يمكن أن اساعدكم في هذا الشأن ؟

فأجابت في لهجة ادنى إلى الاعتذار :

— إنى اعلم أنه كثير ان اطلب ماسأ طلب إلى رجل مشغول مثلك، ولكن إذا ما استطعت الذهاب متسكراً إلى (ادجفيل) فقد تصل إلى معلومات فاصلة عن المدعو (شاموسى كالاهاان) .

فقال مارتن ديل باسمها :

— هذه شخصية جديدة في المأساة . ومن هو شاموسى هذا ؟

— هو ابن خالة الأخوين (داليس) . وقد وفد من (أرلنده) منذ شهر قلائل وعمل هنا حيناً ولكن (انجرام) طرده لما بداه من كسله وتهاونه .. وقد علم (انجرام) أنه شخص فوضوى وكثيرا ما فاخر وهو تحت تأثير السكر بيراعته في إضرار الحرائق، وأنه احرق تصور كثيرة من الأغنياء والناوئين للجمهورية في (أرلنده) .. وان

كان هذا الكلام قد لا يعدو حد البهاة والتفاخر طبعاً ..

فقال مارتن ديل بأساً : هذه مسألة جديرة بالتحري .. ولو قال أحد منذ ساعة فقط أتى سأذهب غداً إلى بلدة (ادجفيل) للتحري عن شخص يدعى (شاموسى كالاها) لرميته بالهذيان !!
— إذن فستذهب يا مستر ديل ؟ .. ما أكرمك حقاً !

لكن مارتن ديل لم يكن مهتماً باستقصاء أمر (شاموسى كالاها) فقد بدا له أن (ادجفيل) هي أقرب المدن إلى (فالكونهرست) وقد يكون لريتشارد أعوان فيها .. وخطر له أن يستقر حيناً في هذه البلدة وأن يتناع لنفسه سيارة عادية لالتفت الأنظار .. ولسوف تحسب مدام فالكون يستقصى أمر شاموسى الفوضوى بينما هو يرمى في الواقع إلى أغراض أخطر شأنها .

وقال مارتن ديل آخر الأمر : أتى بدأت أشاطرك الرأى في الأهتمام بهذه البلدة وأهلها .

فقالت : أن بها أفراداً طبيين منهم الدكتور (فورس) الواقعة والاب (كنبالى) .. لكنهما لا يمثلان البلدة .. وسترى بها تياراً خفية واتجاهات خبيثة ، وستسمع كل شئ في عش النضائح ومطبخ الاشاعات المعروف باسم (الاكتاجون) .

— ماهو هذا ، وأين هو ؟!

— هو دكان حلاق البلدة الذى يمتلكه رجل يدعى (جيبارد) وكان فيما مضى وصيفاً عند للرحوم ادموند فالكون .. وحتى الرج

غير موال لنا فيها سمعت من (انجرام) . ها هو ذا (جون) قادم .. فأجور ان تبقى هذا الحديث سرا بيننا .

واقبل جون ستوك بعذر اضيغه عن تأخيرته .. وبعد مجاملات يسيره انصرف مارتن ديل من القصر مقلاتستوك في سيارته التى امر فرجتها به على بلدة (ادجفيل) لكي يلقى نظرة عليها ويلم بعملها بمساعدة ستوك .

الفصل الرابع المؤلف الخائب

دخل مارتن ديل بلدة (ادجفيل) في سيارة عتيقة . وزى بضامها رثانة وقدما . وقد حل معه حقبة بالية نقش عليها الحرفان الأولان من الإسم الجديد الذى اتخذته لنفسه بخط واضح .

وانحدر من السيارة غير بعيد عن (الاكتاجون) الذى وصفته مدام فالكون بأنه عش النضائح ومطبخ الاشاعات ، آملاً ان يوفق إلى مسكن قريب من هذا المسكان حتى يختلف إليه حيناً بعد حين لكي يستمع إلى ما يدور فيه من احاديث قد تعينه في مهمته التى اضطلع بها .

وفىها هو واقف ينظر حواليه متردداً وقع نظره على بيت قريب من طابقين وقد جلس في مدخله رجل قصير . نحيل . كثير تجاعيد الوجه . في نحو الحسين من عمره . وإلى جانبه خوان معدنى مستدير فوقه كأس كبيرة كان يشرب منها وما كان ينظر إليه حتى وضع الكأس بيد راعشة وبأدره في لهجة مرحة قائلاً :

— اسمع يا صاحي ! .. إن كنت انت الرجل الذى جاء لطلاء سيارتي فقد جئت متأخراً ! .. إن رجال مصالحة الضرائب اخذوها بالأمس واراخوتني منها .

تطلع مارتن ديل إلى الرجل فاذا عيناه الزرقاوان تميضان مرحاً ووجهه يشف عن الدهاء والتجاة وبدا له انه واجد فيه مبعثاً قياضاً يستق منه ما يشاء من المعلومات عن البلدة وأهلها ولذا قبل دعواته إليه للجلوس وان اعترض عن الشرب معه . فقال الرجل :

كان هذا الكلام قد لا يبدو حد البهاة والتفاخر طبعاً ..

فقال مارتن ديل بأساً : هذه مسألة جديدة بالتحري .. ولو قال أحد منذ ساعة فقط أنى سأذهب غدا إلى بلدة (ادجفيل) للتحري عن شخص يدعى (شاموسى كالاها) لرميته بالهذيان !!
— إذن فستذهب يا ماستر ديل ؟ .. ما أكرمك حقاً ! .

لكن مارتن ديل لم يكن مهتماً باستقصاء أمر (شاموسى كالاها) فقد بدا له أن (ادجفيل) هي أقرب المدن إلى (فالكونهرست) وقد يكون لريتشارد أعوان فيها .. وخطر له أن يستقر حيناً في هذه البلدة وأن يتنازع لنفسه سيارة عادية لا تلفت الأنظار .. وسوف تحسب مدام فالكونستقصى أمر شاموسى الفوضوى بينما هو يرمى في الواقع إلى أغراض أخطر شأنها .

وقال مارتن ديل آخر الأمر : أنى بدأت أشاطرك الرأى في الأهتمام بهذه البلدة وأهلها .

فقلت : أن بها أفراداً طبيين منهم الدكتور (فورس) الواقع والاب (كنبالى) .. لكنهما لا يمثلان البلدة .. وسترى بها تيارات خفية واتجاهات خبيثة ، وستسمع كل شىء في عش الفضاخ ومطبخ الاشاعات المعروف باسم (الاكتاجون) .

— ماهو هذا ، وأين هو ؟!

— هو دكان حلاق البلدة الذى يمتلكه رجل يدعى (جيبارد) وكان فيما مضى وصيفاً عند للرحوم ادموند فالكون .. وحتى الرجل

غير موال لنا فيها سمعت من (انجرام) . ها هو ذا (جون) قادم . فأجور ان تبقى هذا الحديث سرا بيننا .

وأقبل جون ستوك يبتدر اضيقه عن تأخيره .. وبعد مجاملات يسيره انصرف مارتن ديل من القصر مقلاتوك في سيارته التى اسرقت من قبله على بلدة (ادجفيل) لكى يلقى نظرة عليها ويلم بمالمها بمساعدة ستوك .

الفصل الرابع

المؤلف الحائب

دخل مارتن ديل بلدة (ادجفيل) في سيارة عتيقة . وزى يضاهاها رثانة وقدماء . وقد حمل معه حقيبة بالية نقش عليها الحرفان الأولان من الإسم الجديد الذى اتخذ لنفسه بخط واضح .

وانحدر من السيارة غير بعيد عن (الاكتاجون) الذى وصفته مدام فالكون بأنه عش الفضاخ ومطبخ الاشاعات ، آملاً ان يوفق إلى مسكن قريب من هذا المسكن حتى يختلف اليه حيناً بعد حين لكى يستمع إلى ما يدور فيه من احاديث قد تعينه في مهمته التى اضطلع بها .

وفى هو واقف ينظر حواله متردداً وقع نظره على بيت قريب من طابقين وقد جاس في مدخله رجل قصير . نحيل . كثير تجاعيد الوجه . في نحو الخمسين من عمره . وإلى جانبه خوان معدنى مستدير فوقه كأس كبيرة كان يشرب منها وما كان ينظر اليه حتى وضع الكأس بيد راعشة وبادره في لهجة مرحة قائلاً :

— اسمع يا صاحى ! . إن كنت انت الرجل الذى جاء لطلاع سيارتى فقد جئت متأخراً ! . إن رجال مصلحة الضرائب اخذوها بالأمس واراخونى منها .

تطلع مارتن ديل إلى الرجل فإذا عيناه الزرقاوان تفيضان مرحاً ووجهه يشف عن الدهاء والنجابة وبدا له انه واحد فيه ميمناً فياضاً يستقى منه ما يشاء من المعلومات عن البلدة وأهلها ولذا قبل دعوته اياه للجلوس وان اعتذر عن الشرب معه . فقال الرجل :

كان هذا الكلام قد لا يعدو حد البهاة والتفاخر طبعاً ..

فقال مارتن ديل باسمها : هذه مسألة جدية بالتحري .. ولو قال أحد منذ ساعة فقط أني سأذهب غداً إلى بلدة (ادجيل) للتحري عن شخص يدعى (شاموسى كالاهان) لرميته بالهذيان .. !
— إذن فستذهب يا ماستر ديل ؟ .. ما أكرمك حقاً ! .

لكن مارتن ديل لم يكن مهتماً باستقصاء أمر (شاموسى كالاهان) فقد بدا له أن (ادجيل) هي أقرب المدن إلى (فالكونهرست) وقد يكون ريتشارد أعوان فيها .. وخطر له أن يستقر حيناً في هذه البلدة وأن يتنازع لنفسه سيارة عادية لا تلفت الأنظار .. ولسوف تحسب مدام فالكون يستقصى أمر شاموسى الفوضوى بينما هو يرمى في الواقع إلى أغراض أخطر شأنها .
وقال مارتن ديل آخر الأمر : أنى بدأت أشاطرك الرأى في الأهتمام بهذه البلدة وأهلها .

فقلت : أن بها أفراداً طبيين منهم الدكتور (فورس) الواعظ والاب (كنبالى) .. لكنهما لا يمثلان البلدة .. وسترى بها تياران خفية واتجاهات خبيثة ، وستسمع كل شيء في عش الفضائح ومطبخ الاشاعات للعروف باسم (الاكتاجون) .

— ما هو هذا ، وأين هو ؟!

— هو دكان حلاق البلدة الذى يمتلكه رجل يدعى (جيبارد) وكان فيما مضى وصيفاً عند للرحوم ادموند فالكون .. وحتى الرجل

غير موال لنا فيها سمعت من (انجرام) . ها هو ذا (جون) قادم .. فأجور ان تبق هذا الحديث سرا بيننا .

واقبل جون ستوك بعذر اضيغه عن تأخيريه .. وبعد مجاملات يسيره انصرف مارتن ديل من القصر مقلاتوك في سيارته التى امرت به على بلدة (ادجيل) لكنى بلى نظرة عليها ولم بمالمها بمساعدة ستوك .

الفصل الرابع

المؤلف الخائب

دخل مارتن ديل بلدة (ادجيل) في سيارة عتيقة . وزى يضاهاها رنانة وقدماء . وقد حمل معه حقيبة بالية نقش عليها الحرفان الأولان من الإسم الجديد الذى اتخذه لنفسه بخط واضح .

وانحدر من السيارة غير بعيد عن (الاكتاجون) الذى وصفته مدام فالكون بأنه عش الفضائح ومطبخ الاشاعات ، آملاً ان يوفق إلى مسكن قريب من هذا للمكان حتى يختلف اليه حيناً بعد حين لكي يستمع إلى ما يدور فيه من احاديث قد تعينه في مهمته التى اضطلع بها .

وفى هو واقف ينظر حواله متردداً وقع نظره على بيت قريب من طايقين وقد جلس في مدخله رجل قصير . نحيل . كثير تجاعيد الوجه . فى نحو الخمسين من عمره . وإلى جانبه خوان معدنى مستدير فوقه كأس كبيرة كان يشرب منها وما كاد ينظر اليه حتى وضع الكأس بيد راعشة وبأدره فى لهجة مرحة قائلاً :

— اسمع يا صاحبي ! . إن كنت انت الرجل الذى جاء لظلاء سيارتى فقد جئت متأخراً ! . إن رجال مصلحة الضرائب اخذوها بالأمس واراخونى منها .

تطلع مارتن ديل إلى الرجل فإذا عيناه الزرقاوان تفيضان مرحاً ووجهه يشف عن الدهاء والنجابة وبدا له انه واجد فيه ميناً فياضاً يستقى منه ما يشاء من المعلومات عن البلدة وأهلها ولذا قبل دعوته اياه للجلوس وان اعتذر عن الشرب معه . فقال الرجل :

— بالاضارة ! .. لكن انت وشانك ! .. اما انا . (تومي نيكولز)
فاشرب حتى يستمر قلبي في العمل . فأنا كالسيارة .. إن انقطع عنها البنزين كنت
عن الحركة ! . مامعنى هذين الحرفين للمتقوسين على حقيبتك ؟ . (فكتور انتوني)
تشرقتنا . والآن . مامعنى مهنتك إن كنت لم تحب . لطلاب سيارتي ؟ .

فأجاب مارتن ديل : انا مؤلف قصصى ، وانى أبحث عن مسكن هادى ،
لايكلفنى كثيراً . وقد قيل لى ان الحلاق اهل لأن يمدنى ببعض المالمومات عن
البيوت والمساكن .

فقال (تومي نيكولز) : ان الحلاق (جيبارد) لا يهتم إلا بالسؤال عن رأسك
فوفر على نفسك العناية . لكن اسمع ياخى . فأنت وانا عبدان لهذا الفن الصعب
الذى يسمنونه الأدب ! .. والواقع انى كنت فى شبان احسرر باب الرياضة فى
بعض الصحف . والفرق بينى وبينك انى طلقت الآن هذا الفن . لكن هذه
الصلة الأدبية حبيبتك لى . وانى اعرض عليك للمقام فى احدى هذه الغرف الأربع
فى الطابق العلوى من دارى ، التى أوجرها لصحفيين لا يقيمون عندى إلا قسباً
بين اغسطس و اكتوبر من كل عام .

وكذلك لم يتردد مارتن ديل فى قبول هذا العرض الطيب . واختار اصغر
الغرف الأربع حجاً إذ وجدها باباً مستقلاً . وما كاد يتفق مع صاحبه على الأجر
حتى عاد لى السيارة لتقل متاعه . فوضع الحقيبه على جانب الرصيف وم بنقل
معطفه وآلته الكاتبة . وفيها هو كذلك اذ وقع نظره على رجل قصير ، ذى لحية
انيقة ، وخطها الشيب ، قادم الى ناحيته ، وكان يضع فوق عينيه نظارات ملونة
يتق بها وهج الشمس ويدبر فى يده عصا . وقد جاء مارتن ديل يبحث عن قصار
القائمة ولكن قدر ان هذا الرجل لا يجاوز طوله خمسة اقدام وبوصتين .

ومها يكن فقد وقع حادث غريب لم يكن يتوقعه ديل ، فقد خطأ الرجل
شطر الحقيبه فى غير انحراف واصطدم بها صدمة القته على الأرض وهو يدمدم
خوفاً ، ولما عاج الهوض رآه يبسط ذراعيه حواليه على نحو ما يفعل العميان
حين يذهبون بتقون الخطر ، وراى الدم ينشق من جرح صغير فوق احدى عينيه

وسرعان ماركس تومي نيكولز الى حيث كان الرجل للمصاب وطوقه بساعده
فى مودة وعطف وهو يقول فى قلق وازعاج :

— بيل .. ايها الأخ الحبيب ! لعلك لم تصب بسوء ؟؟
وانثنى الى مارتن ديل يقول فى غضب :

— لم وضعت حقيبتك الاعمى هنا فى الطريق ؟ لقد كدت تحطم عنقه ! فيالها
من رحمة بالعميان . والواقع ان مارتن ديل تألم اشد الألم ، وذهب يعتذر صادقا
عن غلظته التى لم يعملها عامداً ، لأنه لم يقدر ان الرجل اعمى حقاً ، واقترح ان
يبادر بالذهاب مع الرجل الى طبيب متكفلاً بكافة النفقات ، لولا ان الأعمى قال
فى صوت رقيق وهو يتحسس الجرح :

— هو جرح يسير . وقد اصبت بمجروح اسوأ منه دون ان اذهب لى
الطبيب . وكنت فى اول عهدي بفقد البصر اسقط سقطات اشد من هذه
وانسكى ، وعلى كل حال هى غلظتى إذا كان يجب ان اخجل عصابى البيضاء و ..
(شارة العميان) .

وقاد تومي نيكولز الأعمى الى مدخل الدار واجلسه فى مقعد وهو يتودد
إليه ويتلطف به ، واعتذر لى مارتن ديل عما بدر منه خشونة ، وعرفه
بالأعمى قائلاً :

— اقدم لىك يا فيكتور الأخ بيل جاتلى موزع البريد السابق فى مدينة
(كانساس) ، الذى فقد بصره فى صاعقة بعد خدمة عشرين عاماً سار فيها
حول الأرض عشر مرات فى طوافه اليومى لتوزيع البريد ، وحمل مليون طن
من الرسائل ! وهكذا منح بيل معاشه فانتقل لى (وبهوكن) للاقامة مع
شقيقته الأرملة ، حتى إذا ذهبت لى جوار ربها جاء للاقامة فى بلدنا . الآن
يا بيل ، اقدم لىك مستر فيكتور انتوني المؤلف القصصى المتخصص فى روايات
رعاة البقر .

فشد بيل على يد مارتن ديل بحرارة قائلاً :

— تشرقت بمرقتك يا فيكتور . انا ذاهب الآن . ارجو ان اراك

قريباً . لا تهنم بما حدث لى .

ونهى بيل فذهب من حيث جاء وقد سار هذه المرة فى حذر وبطمه مستعياً بعصاه .

وكذلك كان تعارف مارتن ديل بثانى رجل من سكان (أدجيل) . ورأى مارتن ديل فى صاحبه تومى نيكولز آفتين هما السكر والثرثرة فأنشأ يعالجه بالحدث ويوجهه إلى الغاية التى يتشدها لى يقف منه على كل مايستطيع من المعلومات دون ان يرتاب الرجل فى شيء .. فأكد له فى الحديث ما سمعه من مدام فالكون عن بعض اهل البلد لهذه الاسرة الارستقراطية التى برونها تمثل عهد الانقطاع .

وراح يعدد اسماء بعض الغلاة للظرفين فى محامتهم على هذه الاسرة فقال ان منهم (جاكسون) استاذ الاقتصاد السابق الذى خسر ماله فى المضاربات فلم يجد إلا فالكون المالى الكبير وامثاله من المتحكمين فى الاسواق العالمية بعده مشولاً عن السكائة التى حلت به . وقال ان منهم (شاموسى كلالهان) الفوضوى الذى يفاخر بأضرام الحرائق فى الدور والقصور .

فسأله مارتن ديل :

— وهل يجيىء الى هنا للدعو شاموسى ؟

— لا .. فهو يأتمر بأوامر أسرة داليس ، وم لا يجبوتى ، ويقولون عنى

كلاماً خبيثاً ، مع ان امهم هى شر من على الارض خبثاً .

— وكيف تعلم بما يقولون عنك ؟

— هذا سهل يسير . فان بيل مقيم عند مدام داليس الأم التى تنفق مايعطياها من اجر فى السكر . ومن ثم فهو ينقل الى كل مايقوله وما تفعل ، مطبناً إلى أنى لا احكيه إلى احد . اما انت فانك لا تعرف احداً هنا ، فلاخوف إذن من ناحيتك .

— ولم لاتسكن بيل عندك فى إحدى الغرف التى تؤجرها ؟

— لافائدة من هذا ، لأنه لا يستطيع ان يجيء الطعام لنفسه ، وما كان لى

ان اهينه لاحد . ولو اختار الأخوان داليس لعارضا فى مقام بيل بدار امهما لكنها لايجسران على عصيانها . وفوق هذا فهم يعلمون ان بيل اعمى ولا يتوقفون ان يرى شيئاً .

فأرهب مارتن ديل سمعه وسأل صاحبه :

— وهل يمكنه ان يرى شيئاً ؟

فتباطأ تومى فى الجواب ، اذ قال بعد لآى :

— يقال ان الأخوين داليس يولمسات ولائم صاحبه كلما جاء الى دار امهما لفضاء ايام العطلات الاسبوعية .

— وما وجه الشذوذ فى هذا !

— لا اعلم . إنهم يقامرون ويلجأون احياناً إلى استخدام السلاح كما قال بيل مرة . انى اتضح لك بالابتعاد عن هؤلاء الناس .

ولم ينشأ تومى نيكولز ان يخوض فى الحديث أكثر من هذا القدر فتركه مارتن ديل لشأنه وزعم انه ذاهب إلى البلدة لشراء ورق لآته الكاتبة ، ولكن غرضه الحقيقى كان الاتصال بتليفونيا بجون ستوك لإبلاغه مقره الجديد . وقد استاء ستوك لأن مارتن ديل لم يخبره سلفاً بعزمه وقال له :

— ان البيوت لم تتحسن حالته ، وسليفاً شديدة الازعاج من اجله . متى يمكن ان ارالك !

— إن كنت الآن فى حاجه إلى ذهبت إليك ، لكننى كبير للشاغل هنا . لأنهم يعدوتنى هنا مؤلفاً قصصياً خائباً ، وقد اتيج لى حتى الآن ان اتخذ منهم بعض اصحاب نافعين !

الفصل الخامس

للأساة تتكرر

سليخ مارتن ديل يومه التالى يطوف بأرجاء (أدجيل) التى يشاع ان تومى نيكولز اسكن لديه مؤلفاً قصصياً ، وكان اهل البلدة يحتمرون الأدباء

والغنائين ولكنهم كانوا يفتنون الطرف عنهم ويتساحلون معهم لما يبسطون من ايديهم ويتفقون من ما لهم في الشراب وغير الشراب .

حتى إذا فرغ من طوافه وعاد إلى دار توامى نيكولز التي بانتظاره رسالة عاجلة من جون ستوك أنباء فيها برغبته في الاجتماع به فوراً ، وإن لم يذكر السبب فزعم مارتني ديل لصاحبه توامى نيكولز أن الرسالة هي من ناشر يريد الاجتماع به فوراً للإتفاق معه على نشر قصة سلسلة ، وهكذا استقل سيارته وتركها في مكان أمين خارج البلدة واستقل قطار الضواحي إلى مسكنه في نيويورك حيث ابدل ملابسه ومضى في سيارته إلى دار جون ستوك .

وقد قال له ستوك حال اجتماعه به :

— إن اليوت يرغب في رؤيتك . وقد أنبأته سيلفيا بالقصة ولكنه لم يشأ أن يصدق منها حرفاً ، ولو لم تصارحه بأنك أنت الرجل الذي انتقذ حياته على رصيف الميناء لما كان هناك أقل امل في إجتماعك به ، وهو لا يهتم قط بمن لا يعرفهم ، بيد أنه يشمر بأنه مدين لك بدين كبير ويجب أن يقول لك هذا .
— بديع . . . لنتمش في أحد لطاعم ثم نذهب إلى القصر .

ولعل مارتني ديل لم يوافق على تلبية الدعوة لإلا حين وجد فيها فرصة لابلاغ مدام فالكون ماوقف عليه في (ادجيل) .

وبعد تناول العشاء شقت بهما السيارة (ادجيل) في طريقها إلى قصر (فالكوتهرست) فرأى مارتني ديل في الطريق ماجلته بخاطب السائق من خلال البوق قائلاً :

— حاذر يا هوج ، إن هذا الرجل القصير ذا الناحية الذي بهم بلتياز الطريق هو اعشى . فقال ستوك :

— ولم لا يحمل العصا البيضاء ؟ .

— هو يفاخر بأنه يعرف كل شبر في البلدة ، وهو رجل طيب وقد صار من أصدقائي . . وسر إعتامي به هو أنه يقيم في بيت آل داليس وقد عرمت على تغشيش منزل عمتهم حيث قيل أن الأخوين داليس أنشأ فيها داراً غمة وأنها

يدعوان إليها أنصارها السياسيين . وهناك مايشعرنى بأن آل داليس عنصر هام في قضيتنا .

فقال ستوك بصحيح معلومانه :

— هناك بيتان في المزرعة ، لا بيت واحد وقد عرفت هذا بالرجوع إلى العقد الذي منح به (ادموند فالكون) الأرض لداليس الأب حين أراد أن يسترضي اهل البلدة سياسياً .

— حدثني عن الأخوين داليس وعن سر حقدما على آل فالكون .

— إن لهذا قصة طويلة المحصا لك في كلمات ، فقد اتخذ داليس الأب نادياً في املاك (ادموند فالكون) واداره للشرب والتصف حتى طار صيته السيء في البلدة واضطر ادموند إلى إخراج داليس منه وأجره لغيره ، فحين جنون الرجل حتى قضى نحبه وهو يدعو على ادموند ويطلب له الموت ، وساءت حالة أسرة داليس من بعده ، لولا أن ادموند اشفق عليها ووهبها للمزرعة القائمة بين اشجار الصنوبر .

— قلت ان في المزرعة بيتين ، فأين ثانيهما؟

— هو البيت الأصفر القائم عند اقصى للمزرعة ، وقد شاده للمؤجر السابق وارجح انه اصبح الآن اطلالا . . اما البيت الأكبر الذي تقيم فيه الأسرة فقد جدد واصلح .

— ومن اين يعيش الأخوان داليس ؟

— إن الأخ الأكبر (تيم) كان يراد ان يكون قسيساً ولكنه خاب وهو بلا عمل ، اما الأصغر (الويسوسى) فتخصص في دراسة الكيمياء ثم طرد من المعهد لما نسب إليه من سرقة بعض ادوات العمل ، وإن ذهبت الأسرة تشيع إنه اضطر لهجر دراسته على اثر وفاة والده متأثراً بما فعل معه ادموند . ويقال انه اظهر نبوغاً وكان ينتظر ان يكون له مستقبل باهر في هذا الفن .

وبلغت بهما السيارة (فالكوتهرست) ، فذهب بهما رئيس الخدم إلى

الطابق العلوى حيث ادخلا على (اليوت فالسكون) في فراشه ، فاستقبل المريض
مارتن ديل في مودة وإن كانت دلالات الألم والتأثر بادبه عليه ، وقال له :
— ليتني كنت أقوى على القيام لاستقبالك والحفاوة بك ، إنى ما كنت
أعلم بما أنا مدين لك به حتى طلبت إلى جون أن يجيء بك إلى هنا .
وواقع أن الأسرة كلها مدينة لك بدين لايسهل وفاؤه ، ويسعدنى ان يتاح
لى يوما ان ارد اليك بعض هذا اللطروف .

فذهب مارتن ديل يقفل من هذا الذى يببالغ رب الدار في تقديره حتى إذا
انسحب جون ستوك وتركها مآ إذا (اليوت) يتحدث في صميم الموضوع ويعرب
عن عدم تصديقه لهذه القصة التى طمع بها صهره جون ستوك عن وجود
(ريتشارد اندروز جراى) على قيد الحياة والتي عرزها مارتن ديل واضطلع
بتحقيقها ودراستها دون ان يكون لديه دليل مادى .
فقال مارتن ديل :

— اما انا فاعتقد من القرائن التى انتهت اليها ومما درست من اطوار ابن
عمك الشاذ في حياته للماضية انه اهل لأن يفعل هذا ، وإذا اصررت على
ارتياك في وجوده على قيد الحياة فالك بهذا تعرض نفسك لخطر جسيم .
ولم يتفق الزجلان . فلم يجد اليوت إلا ان يكرر شكره لمارتن ديل على
ما امدى إليه في الميناء . وانسحب ديل إلى الهوى حيث جاس جون ستوك وشقيقته
فسألته سياتيا على الأثر :
— كيف وجدت زوجي ؟ .

— إنى حاولت ان اصور له الخطر الذى يهدده ، بيد انى عبثا حاولت ! .
ولم يشأ مارتن ديل ان يتابع الحوض في هذا الحديث فاستأذن من سيلفيا وانصرف

الفصل السادس

جرائم رهينة

استاء جون ستوك حين عاد إلى مسكنه في منتصف الساعة الواحدة صباحا

فلم يجد وصيفه تامير مستيقظاً لإستقباله ، وشم رائحة السجائر الفاخرة التى يدخنها
وقد ملأت جو المسكان .

وزاد جون ستوك استياء حين تقدم ، فاذا هو يرى للمصباح الجوار
للراديو مضاء . وإذا هو يبصر تامير ذاته غارقاً في مقعدة الوثير ممدد الساقين
وكأنه رب البيت ، وإذا الخوان القريب منه تملوه أعقاب السجائر وكؤوس
الشراب !

وتقدم ستوك قليلا ، فاذا تامير فى مجلسه ، وقد غطى وجهه الكبير بمنديل
قرمزى حريرى لعله أراد أن يحجب به ضوء المصباح عن عينيه ! !
كانت وقاحة ما يبعدها وقاحة ، وكذلك انحنى ستوك ساخطاً وانتزع المنديل
من فوق وجه التأم !

فيالهول ما رأى ! ! وباللفظاعة والبشاعة !
لم ير ستوك أمامه وجها بالمعنى الذى توحيه هذه السكينة فان تامير كان الآن
بلا وجه ، وما يقى في مكان الوجه كان كتلة مشوهة محتاطة من اللحم والعظم والدم
المتجمد .

« . »

ذعر ستوك حقاً حتى لم يتألمك أن هتف مرتاعاً مشدوها ، وشر بقواه مخجور
وساقيه تتخاذلان من تحته ولم يدرب ما يقبل .

حتى إذا تاب إلى وعيه قليلاً أعاد للمنديل إلى وجه الخادم المنكود وانثنى
إلى التليفون لإبلاغ البوليس نبأ هذه الجريمة الوحشية التى لم يدبر لها باعنا
ولا تسيروا .

فلم يكذب بتقدم خطوة حتى رأى رجلاً يشهر فى وجهه مسدسا ويقول
له أمراً : اجلس يا جون !

فتهاوى ستوك فى مقعد مضعفاً ، فقال الرجل ممتدحا :

— يعجبني تجلدهك ، فقد خفت ان تصرخ .

فقال ستوك : لست أدري علام قتلت هذا الرجل المسكين التمس ! !

— لا تتعجل ، قد تحب ان تعرف الحطة البارعة التي اعدتها في ذهني
 فلعله يدور في خلدك ان تموت شهيدا فتترك لذلك ذكرى عاطرة ! . لكنني
 سأخيب ظنك ، فان هؤلاء الذين يحسنون الظن بك سينفرون اشد انفور حين
 يقفون على ظروف موتك فستدفن بوصفك قاتلا ، ومنتحرا ! إذ سيكتشف
 البوليس انك قتلت « اوجست تامبر » المنكوب بوحشية لا مثيل لها ثم تحترت
 برصاص مسدسك . الزم مكانك يا جون ولا تتحرك ! . ان بصمات اصابعك
 ستكون فوق المسدس وفي كل مكان ، في كؤوس شراب ، وفوق الاثاث
 وفوق الأداة التي قتل بها تامبر ، وفوق جثة تامبر .
 — يالك من وحش لئيم !

فاه ستوك بهذه الجملة وهو يعالج النهوض ، بيد ان لظمة من قبضة ريتشارد
 ردتته مترنحا في مكانه ، وكان يعلم انه لم يبق له امل في النجاة ، وان الموت
 لشيء محسوف حقا ، لكن مينة كهذه التي اعددها ريتشارد له لم تكن اخذت الحباثت
 واقسى ما يمتنى به لإنسان حيا وميتا .

وهتف ريتشارد : ما اغباك واضيع املك ! انك على حظ من الشجاعة
 اكثر مما كنت افتر فيك ، لكنها لن تجدك قتيلا ، لقد كنت طوال حياتك
 عدوى وغريرى ، وانت الآن تعرف الأسلوب الذي اتخذته لتسكري ، فمن
 الانتحار ان ادعك على قيد الحياة !

وعال بحركة سريعة فوق (الراديو) واذا صوت موسيقى راقصة يتجاوب في
 ارجاء الغرفة ، فلم يخف السبب عن ذهن ستوك ، اذا يقن انه يمكن القضاء
 عليه برصاصه في عمرة هذا الضجيج دون ان يظن احد الى صوت المقذوف او
 يفرقه عن صوت البأثرة .

ودنا ريتشارد من ضجيته وسدد اليه المسدس قائلا : ينبغي ان يحتاط
 الانسان للخبراء الذين سيفحصون جثتك ، اهني فيما يختص بالحروق الناشئة عن
 احتراق البارود ، وما اليها .

فأغمض جون ستوك عينيه وان لم يختلج ولم يتزألي ، وان هي الاهنية
 حتى نظر ريتشارد الى هذه الضحية الجديدة التي استقرت عند قدمي تامبر ، فاذا
 هو قد تخلس من غربة الحامي الشيخ وأنفذ فيه وعيده .

ثم انحنى ريتشارد فوق الجثة واخذ يفتش جيوبها ويجردها مما بها من
 مال ، حتى اذ تم له ذلك راح ينقل بصمات الأصابع التي لم تفارقها الحرارة بعد
 إلى سائر الأدوات والاشياء التي ينبغي ان تلامسها ، وكان في عمه متأنيا مدققا
 حريصا لا يخطئ العجلة وهو يعلم ان امامه متسعا كبيرا من الوقت .

وغسل يديه آخر الأمر وصب لنفسه كأسا من الشراب وجلس في المقعد
 وداعا ناعم البال يستمع إلى (الراديو) . فقا انتهى البرنامج . نهض من
 مكانه والتي نظرة فاحصة طويلة على كل ماحوله ، فكان كل شيء باعنا على
 الاطمئنان .

وتذكر ان تامبر اخبره ان خدمة المصعد تنهى في الساعة الواحدة صباحا .
 فألقى نظرة على ساعته ، فاذا هي قد تجاوزت الثانية .
 ولم يتالك ان ابقم حين تخيل سلفا هذه العناوين الرنانة الطنانة التي
 ستصدر بها صفح الصباح ! .

الفصل السابع الغريب

هبط مارتن ديل من غرفته التي تحتها في دار تومي نيكولز ، فاذا هذا
 الرجل يشرب كماداته ، وقد طالعه بقصة مؤثرة مؤداها ان الاعمى بيل قد
 اختلف مع مدام داليس التي يقم في دارها لأمر من الامور ، ففضبت
 منه وطاردته بين الغابات تبغى تأديبه ، لولا انه استطاع الافلات منها . .
 بيد ان المسكين ضل طريقه وظل طول الليل نائما على وجهه حتى كانت الساعة
 السادسة صباحا ، اذ صادفه بعض العمال قرب (ريفورود) فجاءوا به الى دار
 تومي نيكولز .

فقال له مارتني ديل : ياله من مسكين ! يجب ان تخافه من شر هذه المرأة
ابن هو الآت ؟!

— فوق . . وقد جاء حين كنت تغسل سيارتك قبل ذهابك إلى مكتب
البريد .

ففتف مارتني ديل وقد عبس قليلا : فوق ! إنى لم اسمع صوته !

فقال تومي نيكولز متضايقا : وماهى الغرابة في وجوده بيبقى ! هل
تخفى امرأة في غرفتك ! أم تخاف ان يسطو على كنوزك !

لم يجب مارتني ديل ، فقد استاء حين علم ان الغرف العليا المجاورة لغرفته
يمكن ان يطرقتها الطارقون بغير علمه ، فان ما يبيع للأعمى بيل من التزول في
احداها قد يباح لغيره من اصحاب تومي نيكولز المبصرين ، وقد يكون فيهم
من يدس انفه في غرفة ديل وينفذ إلى سره .

وسمع ديل فوقه صوتا كمن يهبط من السرب إلى الأرض ، فقال تومي :
— هذا بيل . وقد نال قسطا من النوم .

وان هى الا دقائق حتى هبط بيل السلم في حذر وهو يقول : انى سمعت
صوت فيكتور يتكلم .

فقال له مارتني ديل : انى عدت الآن من الخارج . وقد اخبرنى تومي بما
كان بينك وبين مسدام داليس من خصام في الليلة الماضية . ولاشك انك حرق
ترك دارها ان لم تكن مدينا لها ببنى . وستجد منى ومن تومي كل مساعدة .

فقال بيل : لا اريد زيادة الجفاء ببنى وبينها . وليس هذا الحادث بالأول
من نوعه . ولاشك انها تستعذر الى متى عدت اليها وتسترضينى بطعام شهى . .
لكننى متعب من طول السير في ليلتى الماضية ، واكون شاكرًا إذا اوصلتنى الى
باب المزرعة في سيارتك .

ولما استقر بيل في سيارة مارتني ديل قال له في صوت يمازجه الانفعال :
— إنى أردت في الحقيقة أن أتحدث إليك بعيدا عن تومي ، فهو لا يبقى على سر ،

والواقع انى لم أبح له بكل شىء ، فانى مهدد بمخطر عظيم ، وإنى أخشى العدوان
على حياتى . .

فقال مارتني ديل : اخبرنى بكل ما عندك يا بيل . . وإنى لأعجب من امرك
كيف ابيت العمل بنصحى وترك مقامك في بيت داليس . .

— إنى اخاف ان اتزكهم . . فان تيم داليس يظن انى اعرف اشياء كثيرة
— وماذا تعرف مما يمكن ان يخاف آل داليس افتتاحه ؟

— إن الناس يتساءلون من اين يعيش آل داليس . . وقد عرفت انا
بعض السر . . ماهى معلوماتك يا فيكتور عن تخطيط المزرعة ؟

— لا اعرف عنها الا ما اخبرتنى به . . اعنى انها مزرعة مستطيلة ذات
دار كبيرة ومخزن للحبوب يبعد عنها نحو مائتى متر . وفى الطابق الثانى من مخزن
الحبوب اقام الأخوان داليس مكانا بأويمان اليه في ايام العطلات . — من

اين لهم المال الذى مكنتهم من شراء سيارة جديدة وملابس فخمة كالتي يلبسونها ؟
— لست بوليسا سرىا ، وكيف لى ان اعلم هذا !

— اما انا فاعلم وان كنت لست بوليسا سرىا ! اعرف يا فيكتور ان فى
المزرعة دارين لا دارا واحدة ، غير مخزن الحبوب ؟ كان مارتني ديل يعلم

بوجود الدار للمنزلة القائمة بين اشجار العنوبر ، ولكنه تجاهل معرفته بها قائلا :
— وما حاجتهم الى دارين ؟ يمكننى اذن أن أستأجر احداها حينما يحبىء

سكان منزل تومي .

— لا أمل لك فى هذا حتى لو دفعت مالا كثيرا . . ان هذه الدار ندر
ثروة كبيرة لآل داليس ! اسمع يا فيكتور ، انهم يمكنون المجرمين من الاختفاء
هناك . . لقد التقيت بأحدم فى الليلة الماضية . .

فقال مارتني ديل وقد كتم عن الأعمى انفعاله لدى سماع هذا النبأ :

— ربما كان (شاموسى كالاهان) هو الذى يقم هناك . .

— ان شاموسى يتزل عند أسرة (برايجان) وتنافس بناتهم عليه . .
أما هذا الرجل فقد بدا لى من حديثه أنه من أهل الطبقة الراقية ، لأنه خاطبنى

من طرف أنه حين التقيت به بين الغابات في اثناء فرارى من مدام داليس متطفلا على المسكان ولما قلت له أنه هو المتطفل ضحك منى ساخرًا وقال انه من علماء الطبيعة وانه جاء الى هذا المسكان لدراسة أحوال الطيور الليلية ... لكننى كنت واثقا من انه يكذب . . . وقد شعرت بخوف شديد منه ، وحدثنى النفس بأنه رجل شرير .

— وكيف علمت انه يعرش في الدار المنزلة !

— انى اصطدمت في الطريق غير بعيد عنها بمجموعة من عاب للمأكولات الحفوظة النارية ، وقد شممتها فلم أجدتها صدمتة ولا قديمة ، بل وجدتها حديثة . . . وانى أقرر لك واثقا يا فيكتور أن ذلك الرجل يقم في تلك الدار ، وانه صاحب العلب الفارغة . . . ربماها بعد ان اكل ما فيها . . . بل انى كنت واثقا من قبل ان هذه الدار تختفى سرا .

— وما الذى كان يحمك على هذا الشعور !

— حينما جئت للاقامة في هذه البلدة كنت اطوف بالأماكن المجاورة واطلع علامات خاصة اهتمدى بها ، فنهتنى مدام داليس ألا اتجه الى ناحية المنطقة الصخرية حتى لا اقع من فوقها واهلك ، فلما قلت انى سأجرب حظى قالت ان هذه المنطقة يسكنها عنريت رجل قتل زوجته واولاده وان كل من يصادف العنريت يموت في خلال العام . . . فقلت لها انى اعمى والعيان لا يرون انسا ولا جنا ، فأخبرت ولدها بيم بذلك فقال انى اذا لم اطع فلا تصرف عنهم واترك الدار . . . والواقع لانى خفت حتى لم املك الا ان اعد بالامتنال والابتعاد عن هذا المسكان والآن لعلك عرفت سبب حرصهم على ابعادى عنه !

كان يحبا ان يهتدى هذا الأعمى الساذج الى ما قد يصح ان يسكون محباً (ريتشارد اندروز جراى) . . . والحق ان مارتى ديل لم يجد مكانا اصلح من هذا المسكان الفريد يستطيع ريتشارد ان يقوم منه بجولاته الليلية في غابات الكون في الغابات طرق ومسالك كثيرة يعرفها ريتشارد منذ صغره فيتسلل منها الى القصر بين الأشجار والأدغال . . . واذا صحت هذه البيانات فمنها ان آل داليس

يخفون ريتشارد عندهم في الدار المنزلة نظير اجر سخى جزيل ، وانهم يتفرون طبعًا من كل ما من شأنه تعريض ضيقهم للانظار .

— وما الذى حدث حتى ضللت طريقك في الغابات !

— الواقع انى شعرت بخوف شديد من هذا الرجل فابتعدت عنه مسرعا ورأيتنى اسير في طريق منحدر ، لكننى لم استطع العودة لأنى كنت اشعر ان الرجل واقف برقبتي ، بل كنت اتقرب بين لحظة واخرى أن تصيبنى منه رصاصة في ظهري .

— فهمت . . . وبعد ذلك عثر عليك بعض العمال وجاءوا بك إلى دار توى . ولم يجد مارتى ديل مبرزا للإبداء اهتمامه بقصة الأعمى ، فقد عول هلى ان يستقصى هذه المسألة بنفسه بغير علم بيل حتى لا يفتضح مسماه .

بيد ان بيل بادره قائلا وكأنا فطن إلى ما يجيش في نفسه :

— لقد خطر لى رأى يا فيكتور ، فأنت رجل قويم اعتدت ارتياد المجهل ، فلم لا تذهب إلى الغابة هذه الليلة للاستطلاع ومعرفة الحقيقة ؟ . ربما كانت هناك مكافأة لمن يرشد إلى الغريب الخفى ، ولنا اذن ان نتفاسها ونذهب معا إلى موطنك حيث الصحارى ومراعى الأبقار . انا على استعداد لغايلتك وارشادك إلى معالم الطريق .

— ان ذلك غير ممكن هذه الليلة . فأنا ذاهب لزيارة (الأوكساجون) مع توى .

فقال بيل : انه مكان غير مأمون ، فيه تكثر المعارك والاشتبكات ورواده لا يحبون الأجانب ، وانى انصح لك بعدم الذهاب إليه .

لكن مارتى ديل لم يكن بالذى يثنيه مثل هذا الكلام عن عزمه . فقد صبح منه العزم على ارتياد (الأوكساجون) لعله يهتدى فيه إلى شخص (ريتشارد) متسكراً في زى من الأزياء . وكذلك ترك بيل يعود إلى المزرعة وحده بعد أن أقبله إلى حدودها وبعد أن وعده أن يضعها معاً خطة مشتركة للوقوف على سر الغريب الخفى بين أشجار الصنوبر .

الفصل الثامن

الأوكتاجون

(الأوكتاجون) هو بناء منمن الأضلاع اتخذ حلاق (ادجيل) مقراً له وجعل منه أصحاب البلدة منتدى لهم، إليه يختلفون، وفيه يسرون، وقد صفت حول جدرانها مقاعد مستطيلة من البلوط، وأعد صنف منها ذو مساند لوجوه البلدة وأكبرها، هيء لهم خاصة فلا يجاس فيه غير من سواد الناس.

وكان (الأوكتاجون) في مساء السبت حافلاً بجلسه كالعادة، فلم يهت أحد منهم بتومي نيكولز وصاحبه مارتز ديل حين دلفا إليه، وكانت الأصابع متجهة بصفة خاصة إلى (شاموسى كالاهاان) الفوضوى وهو يقص عليهم أحداث الحرائق التي كان يضرها في قصور الأغنياء والأشراف فتشردم وتشتت شملهم في طرفة عين، وم يقابلونه ببيارات الاعجاب والاستحسان.

وقال تومي نيكولز وهو يتجه مع صاحبه إلى مقعدين خاليين:

— مساء الخير يا أولاد!.. يا لها من ليلة بديعة يحلو فيها الحديث وتكثر الأوهام والتخيلات!

فقال (شاموسى) غاضباً وقد تورد وجهه لما رأى من تعريض تومي به:

— انت سكران كالعادة!

فقال تومي: سكران بالويسكى لا بالأوهام!.. كفى يا شاموسى مبالغة. وحتى لو كنت صادقاً فأني لا اقبل إلى هذا الكلام ولا احبذه.

فقال شاموسى ساخطاً وهو يتقدم في حركات مسرحية إلى حيث جلس تومي: أزميني بالكذب؟

فأجاب تومي في مرح: نعم. وإذا لم يعجبك هذا فامالك الجدار!.. اسمع يا شاموسى!.. اعرفك بفيكتور انتوني الكاتب الأدب، وانت يا فيكتور. أقدم إليك (ابولو كالاهاان)، آله النار والحريق، الذي اغتنى هنا بعد فقره، وعز بعد ذل!

فتدخل تيم داليس قائلاً، وكان بدينا مورد الوجه انيق الثياب: كفى يا تومي تحدياً!

بيد ان تومي كان منشرح الخاطر هذه الليلة، وكان يرجو ان تشب ممركة او اثنتان حتى يتسلى ويطرب، بمسك مارتز ديل الذى سحق في نفسه من استخفاف صاحبه وتغنى لو انه استمع لتصح بيل ولم يجي. إلى حيث يوشك ان يتورط في مشاكل هو في غنى عنها.

وقال تومي ساخراً، رداً على كلام تيم:

— ان الرئيس داليس يتكلم!.. وهو مواطن غم انيق يرتدى الآن

الملابس النظيفة المسكوبة ويتعلى بخواتم الماس للتأثير في نفوس البنات!.. اسمع تيم!.. انى كنت صحفياً ارسل عشرات الصحف حين كنت انت صحفياً فقيراً مكيناً في منب (سوانسون)!.. فاذا جرى حتى تأمرنى بالسكوت وعدم الكلام؟..

فقال اخوه (الويسوسى داليس) وهو في طویل نحيل:

— هو سكران، فدعه في اوهامه واحلامه.

فلم يتكلم تيم داليس، ولكنه بدا محتقن الوجه غضباً حتى ايقن مارتز ديل انه يكون مخلوقاً شديداً الحظر إذا اثير واغضب.

وفي هذه اللحظة رأى مارتز ديل الأعمى بيل يدخل (الأوكتاجون) حيث جرى، به للجلوس إلى جانب صديقه، فقال بيل: ما لكم لا تتكلمون؟.. هل جد شيء ضايقكم!

فأجاب مارتز ديل: الدنيا بخير.

بيد انه لم يكن مطمئناً، فقد رأى تيم داليس وشاموسى وبرانيجان تاجر الحردوات يتبادلون الحديث فيما بينهم وهم ينظرون إليه بين حين وآخر، فتوقع حدوث مكر.؟ وايقن ان الجميع سيكونون ضده، وهو غريب عنهم، فيما عدا صديقه.

والواقع ان (شاموسى كالاهاان) ما لبث ان تقدم نحوهم في زهو وخيلاء،

وقال مخاطباً تومي نيكولز : اني اراك تستهزيء بي دائماً ايها السكير القذر .
فهل تخرج من هنا ، او نحب ان القيك في الخارج بيدي .

فابتسم تومي سروراً وقد ايقن بقرب وقوع المعركة التي لن يصيبه رشاشها
كالمادة واجاب قائلاً :

— كلم وكيلي ومدري ! . ان فيكتور يتكفل بالمفرورين الذين
يضابقونني ! .

فقال شاموسى في سخط ، موجها حديثه إلى مارتى ديل :

— إذ به .. ولا يجيء احد منكنا بعد الآن إلى هنا .

فقال مارتى ديل ناصحاً : لاتتكدر ، ان تومي كان يمزح ، ولا يقصد شيئاً
قال شاموسى نحوه قائلاً : يالك من جبان ، صديق سكير ! .

فلم يجد مارتى ديل مفراً من تأديب هذا الفتى المفرور ، وسرعان ما استوى
قائماً ولطمه في فكه لطمه قوية عنيفة ترشح شاموسى على أثرها متطاوفاً ، ثم
عاجله بضربة اخرى تحت ذقنه ألقتة على الأرض .

هناك تعالى صباح الغضب من كافة الأفواه . وتنهض شاموسى من سقطته
متهايلاً وقد ايقن انه ازاء عدو قوى الشكيمة شديد المراس ، وراح تيم والوسوسى
داليس يحفزانه وبفرانه باستئناف الهجوم فقال لهما :

— لن اصارع هنا ، بل في الحلقة تحت انتظار مئات المتفرجين اسكى
يروا ما افعل به ! .

فصاح تومي نيكولز قائلاً : جبان والله ! . جبان مخلوع القلب . . ! . انه
مثل خائف مذعور !! انظر واإليه !! كل ما يقوى عليه هو إضرار الحرائق
في بيوت الشيوخ والمعائز ثم يركن إلى الفرار كالأرانب !!

وقال مارتى ديل مخاطباً شاموسى : بل تعال نسو حسابنا في الحال . . .
على انه جد في هذه اللحظة ، لحسن حظ شاموسى ، حادث وقاه شر هزيمة
جديدة ، وصرف الأذمما عن هذه المعركة الطريفة .

فقد اندفع (سوانسون) صاحب ملعب (السكربكيت) إلى المكان لاهث
الأنفاس ، وقال في لهجة الانفعال : سمعا كلكم ! لقد اذيع الخبر في الراديو ! .

واكتشف البوليس الجريمة نوا . .

غيم الصمت العميق فوق الرعوس ، واسترسل سوانسون في قصته قائلاً :

— تعرفون طبعاً المحامى جون ستوك شقيق زوجة فالكسون ! ان هذا الشيخ
الفاجر قتل خادمة المدعو اوجست تامبر ثم انتحر ، وقد حدث هذا في الليلة
الماضية او في صباح اليوم الباكر ! . ولم يذهب احد إلى المسكن طول النهار ،
فارتاب كاتب عنده في الأمر وكسر باب المسكن ، فوجد المسكن خليطاً من الدم
والفوضى ! . فهتف تيم داليس حين سمع هذه القصة : انا لا اصدق هذا
الكلام ، صحيح اني اكره هذا الشيخ الفاجر ، لكنه لا يفعل شيئاً كهذا ! .
وهناك التباس ما !

— بل هذا ما سمعته بأذنى من مذيع الراديو ! . وقد وجدت في المسكان
اعتاب سجاير وبقايا ويسكى .

فقال بيل : من هو ستوك هذا ؟

فأجاب جاكسون اتاذ الاقتصاديات السابق : هو من عصابة فالكسون ،
لصوص الأسواق المالية ، النصابين الدوليين ! . انا لا آسف على مصرعه ،
لكن لمقتل خادمه ؟

فأجاب آخر : لعله وجده عنها بخفاياه واسراره .

وقال سوانسون : ان بصماته وجدت في كل مكان وعلى كل شيء . . انها
جناية وحشية كما قال المذبح ، سأعدو للوقوف على مزيد من الأخبار .

وعاد الرجل من حيث أتى تاركاً رواد (الاوكتاجون) يظنون كمش
الزناجير ويذهبون في التعليل والتفسير كل مذهب ، وكان المفروض أن مارتى ديل
في دوره الزائف كذراف من اقاليم رعاة البقر يجهل كل شيء عن ستوك وفالكسون
وما يتصل بها . وكذلك اتيح له ان يستمع الآن إلى اهل البلدة وم يبنون حقد
على افراد هذه الأسرة في غير ضن ولا تحفظ .

ولم يكن يخالجه ادنى شك في ان ريتشارد هو مرتكب هذه الجريمة

الذكراء ، فان جسون ستوك كما صرح نيم داليس ، ليس بالذي يفعل شيئاً كهذا ، ولا ريب انه قد جرد في الأمر ماجل ريتشارد على ان يخل بالمهد الذي قطعه على نفسه وان يضحى بجون ستوك قبل اليوت فالكون .

وجيء إلى (الأوكناجون) بجهاز (راديو) ، فأيد نبأ الجريمة المزدوجة وزيد عليه إن الأطباء قرروا ان جريمة القتل تمت قبل حادث الإلتحار بساعات وانه بظن ان تامبر قتل حوالي الساعة التاسعة مساءً ، وان ستوك قد انتحر حوالي منتصف الليل؟!

فلم يسكد مارتن ديل يلم بهذه البيانات حتى أخذ يراجع نفسه فيما قدره من قبل من أن الغريب للقيم بين أشجار الصنوبر هو ريتشارد ، وحتى مال إلى نبذ هذا الأختال .

إذ كيف يتفق أن يتحدث ريتشارد إلى بيل في الغابة حوالي الساعة العاشرة ليلاً ، ثم يكون هو نفس الرجل الذي ارتكب الجريمة في (بارك افنيو) في نيويورك بين الساعة التاسعة ومنتصف الليل :

والواقع أن مارتن ديل لم يسكد بنهي إلى هذا الاستنتاج حتى ساوره لون من خيبة الرجا ، فقد كانت متشوقة متحمسا لارتداد مزرعة داليس واستطلاع دخائنها ، فسا لبنت هذه المهمة أن بدت له الآن تافهة لا قيمة لها ، إذ لا يمتيه من يكون لاحقاً إلى البيت المنزل بين أشجار الصنوبر مادام شخصاً آخر غير ريتشارد وهو لم ينجى ، هنا إلا للبحث عن ريتشارد دون سواء .

ومضى المذبح في التقيب على الجناية المزدوجة وفي تحليل شخصية الغائل المنتحر ، ثم انتقل إلى الكلام عن ثروته وعن مصاهرته لبيت فالكون ، ذلك ورواد (الأوكناجون) يعلقون على هذه الأحاديث بما شاء لهم الهوى وما يميله حقدم على أفراد البيتين جميعاً ، على أن (شاموس كالاهاان) انتهز هذه الفرصة وعاد إلى ترديد نغماته السالفة قائلا : سترون يوماً قصرم (فالكونهرست) وقد دمرته النيران ، وأصبح سكانه المترفون المنعمون مفردين ، وعلى وجوههم هاتمين . فانبرى له تومي نيكولز قائلا : أهذا عهد مثلك بأن قصرم النار فيه ؟

فعبس شاموسى إذ اتى نفسه قد أمن في تهديداته ، بيد انه نورط ولم يجد من سبيل إلى التراجع ، واجاب قائلا : إن الله تعالى يرسل الصواعق فتدمر ما أتى عليه . ألا ترى هذا الرأى ؟

فابتسم تومي متخابشاً . وبادر مارتن ديل بالإصراف مع صاحبيه حسماً لاشتباهك جديد .

وكان ينوى أن يقل بيل في سيارته حتى حدود مزرعة داليس ثم يمضى إلى نيويورك للوقوف على رأى البوليس في هذه الجناية المزدوجة ، بيد أن الذى أحدى عجلات السيارة تالفة ولم يكن من سبيل لإصلاحها لتأخر الوقت ، فترك تومي نيكولز يعود إلى الدار وحده وتطوع لمرافقة بيل حتى المزرعة .

وطأخ مارتن ديل أن يدبر دفة الحديث ببقافة إلى الموضوع الذى يشغله ، فقال للأخفى :

— أما زلت تصر على أنك التقيت في الغابات برجل تحدث اليك حديث الإنسان المشفق وقد خفت منه وازعجت رغم انك لم تر وجهه ؟

فقال بيل : لك لا تعتقد أنى كذبت عليك ؟

— لا اعنى هذا حقاً . وإنما أقصد مسألة الوقت الذى يختلف تقديره عندى وعندك ، فنحن المبصرين نتميز النهار من الليل لأن احدهما مضى والآخر مظلم . أما أنت ففي ظلام دائم والوقت عندك منشا به وقد تخلط الليل بالنهار . — انا لافهم قصدك .

— اريد ان أسألك عما إذا كنت واثقاً انك التقيت بذلك الغريب وتحدثت اليه فيما بين الساعة العاشرة والحادية عشرة في الليلة الماضية ، مساء الجمعة ؟ .

— لا يحتمل انك قابلته مساء الخميس . ففكر في هذا وشاور نفسك . — لاجابة بى إلى التفكير ، وانا اعلم اليقين أنى قابلته مساء الجمعة . ففي هذا اليوم كان طعامنا السمك واذكر ان مدام داليس قالت إن السمك سهل الهضم وانها لاتأكله إلا إذا شعرت بخواء في ممدتها . لم يكن من سبيل إلى الشك بمد هذا الكلام .

ومن الجائز ان يكون الغريب الذي تحدث اليه بيل هو ريتشارد . فان صح هذا فان ريتشارد لم يرتكب هذه الجريمة المزدوجة ولم يبحث بما عاهد عليه نفسه من القضاء على (اليوت فالكون) اولا .

فأما إن كان ريتشارد هو مرتكب الجريمة فليس لهذا الغريب المحتجى بين اشجار الصنوبر قيمة في حساب مارتن ديل وتحرياته .

ولم يلبث بيل ان انتهز الفرصة فقال له : مارأيك في الذهاب إلى الغابة مساء الاثنين . ان الأخوين داليس سيقتضيان عظة الأحد (غداً) في المزرعة فلاستطيع ان اصاحبك في هذه الجولة الاستكشافية .

فارتاح مارتن ديل إلى هذا الاقتراح الذي لقاءه بتمشى مع خطته . فقد عول على ارتياد المزرعة وحده مساء الغد (الأحد) حتى إذا كان مساء الإثنين اصطحب بيل لإرشاده إلى موقع البيت المنعزل بين اشجار الصنوبر لكي يقف على الحقيقة في امر هذا الغريب اللاجيء .

وقال له بيل حين ظفر بموافقته : قد لاتمكن من مقابلتك غداً . فان كان ذلك فميك بانتظاري في الساعة العاشرة من مساء الاثنين قرب باب حدائق المزرعة . وبحسن ان نجيء معك بمسدس احتياطي للطوارئ . .

وكذلك تم الاتفاق بينها ، وعاد مارتن ديل وحده إلى مسكنه في دارنومي نيكولز وقد ارتاح إلى قرب ساعة العمل والفصل في امر هذه القضية المعقدة .

الفصل التاسع

سر الأخوين

استيقظ مارتن ديل في صباح اليوم التالي مبكراً إذ كان امامه نهار حافل فلما تم له إصلاح سيارته قصد إلى مطار في بلدة (انجلوود) المجاورة حيث يتاح للجمهور التحليق بالطائرة للزهة فوق منطقة نهر (هدرن) وما جاورها نظير اجر معتدل ، فاستقل ديل الطائرة وارشد قائدها إلى التحليق به فوق بلدة (ادجيل) كي يلقى نظرة من الجو على مزرعة داليس ويحدد قريبتها من (فالكونهرست)

وقد ألقى للمزرعة مستطبة الشكل تناهز مساحتها ستين فداناً ، بيد انها لم تكن مهيأة للزراعة بعد ان عدل اصحابها الحاليون عن استغلالها لهذا الغرض وكانت ارضها خاملة لا تكسوها غير الحشائش وأشجار الغابات ، ورأى ديل مخزن الحبوب من الجو في وضوح ، بيد انه لم يستطع ان يشاهد اثرًا للنزل للمنزل القائم بين اشجار الصنوبر . . وكان يحد المزرعة غربا طريق ممتد واضح للعالم . .

وعلى أثر هذه الرحلة الجوية ، قصد ديل بالسيارة إلى مستشفى (سانت توماس) حيث علم أن (اليوت فالكون) نقل اليه اخيرا بعد ان ساءت حالته فإكاد يجتمع بمداًم فالكون حتى الغاما في حالة يرثى لها بعد هذه النكبة التي حلت بها بمصرع شقيقها جون ستوك ، والواقع انها قالت له :

— ما ايشم هذا حقاً ، ان الصحف قد ضربت على نعمة مرذولة خبيثة .

فهي تتعد ، اجاعاً ان جون هو قاتل تامبر . . ولم نكد نسمع بالخبر في الليلة الماضية حتى اتصلت بالمستشفى تليفونيا لطلب عربة الاسعاف ، فان حالة اليوت لم تكن تسمح بنقله في سيارة عادية ، وكان في حالة شديدة من الاضطراب والجزع . . واصارحك ان ولدنا (لورانس) هو الآن في طريقة إلينا قادما من كبريدج ، كما أن (انجرام) موجود معنا هنا في المستشفى . اني أشعر شعورا قويا بأن ريتشارد قريب جدا منا وانه على اتم استعداد لتوجيه ضربته التالية ، ومع ذلك أرى (اليوت) راغبا عن ابلاغ البوليس ! . وعندى ان هذا هو عين الجنون ! .

فقال ديل : وهذا أحد الاسباب التي جعلتني على المحمي إلى هنا . سأخبرك

بشيء . . ذلك اني لا اعتقد ان ريتشارد هو قاتل شقيقك .

— لكنه توعد بالقتل ! .

— صحيح . لكن شخصاً آخر سبقه إلى ذلك . . واعتقد ان ريتشارد

محتجى في بيت صغير في مزرعة داليس في (ادجيل) وانه كان في هذا البيت في الليلة الماضية وقت ارتكاب الجريمة .

وقص عليها ما علمه من بيل جاتلي في هذا المقام . واستطرد قائلا :
— وعندي أن ريتشارد سينتظر حتى تعودوا إلى (فالكونهست) ،
ولذلك أرجو أن تعلى على استبقاء زوجك هنا أطول مدة ممكنة أو على الأقل
حتى يوم الثلاثاء . . . فقد عزمتم على استكشاف سر البيت المنعزل مع بيل
مساء الاثنين .
— لكن ألا ينبغي استصدار أمر من البوليس قبل الاقدام على مثل
هذا العمل ؟

— وكذلك نهي ريتشارد أن يظن إلى غرضنا عن طريق أحد اعوانه ؟
فهتف قائلا : لا ! لا ! بل انه ليس في رمايته بالرصاص حلما تراه ! .
— ما اظننى سأفعل شيئا كهذا . لكنى قد اتمكن من اعتقاله وحمله
على الاعتراف .

ولم يجد مارتن ديل موجبا للبقاء أكثر من هذا القدر بعد ان التى (اليوت
فالكون) نائما . ولذلك ودع زوجته بعد ان أوصاها بمداومة السهر عليه
والبقاء بالمستشفى حتى يوم الثلاثاء ، ثم عاد إلى (ادجيل) حتى يتأهب لزيارة
المزرعة وحيدا للوقوف على سر آل داليس ، وقد أعد هذه المناسبة مصباحين
كهربائيين صغيرين ، وقاطعة اسلاك ، ومطرقة دقيقة ، وموسى ، وبوصلة ،
ومفتاحا يعالج كافة أنواع الاقفال ، ومنظارا مكبرا ، ومشابك معدنية .
وجلس مارتن ديل مع تومى نيكولز يسمران لدى الباب حتى مساء ،
ثم استأذن في القيام بجولة قبل النوم ، وغاب عنه في الظلام .

« * »

سار ديل في الطريق المجاور لمزرعة داليس حتى شارف المنزل المكون
من طابقين ، فجعل نفرة في الأسلاك الشائكة القائمة من دونه . فانسل منها
ثم أعادها إلى مكانها . ولبث في موضعه حينما ساكتا . فلما اطمان إلى انه
بئامن من الرقباء بم شطر المنزل ، وانصرف من بين الشجيرات المزهرة على

نافذة تسكوها ستارة شفافة رأى خلفها مدام داليس ، تلك المرأة التى سمع
عن جبروتها وبأسها ، فاذا هى بدينة مفرطة البدانة ، ذات بشرة قانية اتلون
عينين نفاذتين وسحنة كانت رغم وسامة تقاطيعها تثير الناظر اليها قشعريرة .
وسمها تتحدث بصوتها الداوى إلى شخص جالس في مقعد تحت النافذة .
عرف فيه الاعمى بيل . وكان الحديث تافها لاهم ديل في كثير ولا قليل ، وان
لمس فيه التحفز والفترة من جانب ربة الدار ، والخنوع والاستخياء من
جانب الضيف الكفيف . ولذلك تسلل ديل في حذر وسكون مبتعدا عن المنزل
وولى وجهه شطر مخزن الحبوب للتقصى والاستطلاع .

وكان المبني في منطقة مكشوفة ليس بها إلا أشجار الصنوبر التى لا يوجد
المتخصص عاصبا بين اغصانها وكان الطابق العلوى منه قد جدد بناؤه واعدت
فيه أسباب الراحة ووسائل الحياة المصرية واليه كان يدمى اصديقاء آل داليس
السياسيون من نيويورك فتولم لهم الولائم وتقام المساءد والحفلات ..

ولم يلبث مارتن ديل أن طاف بالمبنى حتى بلغ بالسلم الخارجى الذى يقضى
إلى الطابق العلوى . فوقف برهة يجيل نظره في ارجائه ، فرأى الضوء ينبعث
من الناحيتين الأمامية والخلفية ، أما القسم الاوسط فكان في ظلام دامس .
وفيما هو يفكر في أسلم السبل للتسلل إلى المكان إذ نفذت إلى انفه

رائحة غاز (الايدروجين المسكبت) ، مقترنة بفاز (السكور) . فجعل
يتساءل عن سر وجود هذه الغازات الكريهة الرائحة في مكان اعد للولائم
والحفلات . واستبعد ان يكون (الويسومى داليس) قد اتخذ من المساعة
بالكيميااء هواية وتسلية ، وقدر ان في الأمر سرا هول على استقصائه مها
تكلف من ثمن ذلك وان يكن الغرض الاساسى من بحبشة في هذه الليلة وحيدا
هو معرفة ما إذا كان الاخوان داليس يجتمعان في خلال العطة التى يقضيانها في
الدار . بالغريب المحتبىء في دارهما القاصية . السكنانة في اقصى المزرعة .
وعلى حين غرة سمع وقع اقدام قريبة . فانكشش في مكانه خلف جذع

شجرة الصنوبر التي اعتم بها وقد خشي ان يكون احد قد فطن اليه . بيد ان القادم مر بالشجرة حتى جاوزها ووقف أسفل السلم . وان هي الا برهة حتى سمع صوت جرس كهربائي يرن في الطابق العلوي . فأدرك ان القادم صمغط على زر قرب السلم قد اخفى ولا ريب عن الناس . الا اخصاء آل داليس . وما لبث ديل ان سمع صوت باب ينتح في اعلى السلم . وقائل عرف فيه داليس يقول :

— من القادم ؟
— هو انا يا تيم .

وكان ديل يتوقع ان يسكوت القادم شخصا لعله (ريتشارد اندوز جراي) . ولكن خاب ظنه . فقد عرف فيه (شاموسى كلاهان) مضرم الحرائق والنيارات . ونزيل سجون (دى فالبرا) وقد بادره تيم داليس قائلا : اصعد ... إنك تأخرت .

فارتقى شاموسى درجات السلم على عجل ، وارتطم الباب من خلفه . وكانت هي اللحظة التي ينتظرها مارتن ديل بفارغ الصبر ، فارتقى السلم من فوره وهو موقن ان تيم يقود زائرهُ إلى غرفة الجلوس غير مرتاب في وجود متصلص أو متطفل . . . وإذا رأى الباب مفتوحا لم يتردد في الدخول ، فألقى نفسه في ممشي تكسوه سجادة شرقية ، ولمح في الضوء المنبعث من الغرفة الكائنة في أقصى للمشي بابا غير موصل ، فأنسل منه وأضاء مصباحه الكهربائي ، فاذا هو في غرفة نوم يعلو أنامتها الغبار وهي في أغلب الظنون مهجورة منذ عهد غير يسير ، وأكبر الظن أنها لن تستخدم في هذه الآونة .

وأرهب مارتن ديل سمعه من خلال الباب المنفرج ، فاذا الحديث يدور في صوت جلي مسموع وكان شاموسى يقول : لا بأس . . . ها هذا .

فقال له تيم في غير رقة ولاحفاوة : اجلس يا شاموسى . . . بيننا كلام طويل إنني غير راض عنك . . . بل أنا مستاء مما حدث في (الأوكنتاجون) مساء أمس

فقال شاموسى في صوت أجش : آه . . . ألم تر أن المدعي فيكتور غافلني وتسلل من خلفي ولطمني غدرا . . . ؟ إنني سأقتله في المرة القادمة .
— إنه لم يلمط بك غدرا ، وهو أقوى وأبرع منك . . . والواقع أنني جنت حين رأيتك تستقط ، وخصوصا لأنني كنت أفخر بك وأجاهر بأنك من الأبطال لكنني سأعمل على ان أغسل هذا العار الذي لحق بأسرتي داليس وكلاهان ، وعمما قريب سيذهب فيكتور أنتوني هذا وينسى الناس ما كان منه .

فقال شاموسى في صوت يشف عن الجزع : تعني أنني سأنازله مرة ثانية ؟
— لا . . . بل سيזור (الأوكنتاجون) في مساء السبت القادم عصابة من

الفتيان يسوون الحساب مع فيكتور أنتوني هذا بحيث يكون من نزلاء المستشفيات وسنرتاح منه بعد ذلك . . . فان في أطواره أشياء لأطمئن إليها . . . والحقيقة ان تومي نيكولز لا غبار عليه ولكن فيكتور هذا ليس بالمغفل الذي يحاول ان يكونه امامنا . . . إنني لا اميل إلى وجود الا جانب في (اندجيل) ، وإني ادبر امر هذه البلدة بالأسلوب الذي اريده . فقال شاموسى : لا ريب في ذلك

وهذه حقيقة يعرفها كل إنسان . ومن دواعي فخري ان اكون ابن خالة زعيم البلدة . فقال تيم وقد طرق الغرض الذي استدعي من اجله قريبه : إنني غير راض عنك يا شاموسى . . . فان هذه الأحاديث الجوفاء التي تلوكها جهارا والتي تتوعد فيها بأضرار النار في قصر (فالسكو نهرست) ستبلغ حتما اسراع البوليس ذات يوم . وستنتهي بنفيك من امريكا واعادتك الى سجون ازلنده . . . ان آل فالسكون اناس ذوو سلطة ونفوذ .

فقال شاموسى وقد تذكر ما يظفر به من اعجاب سامية واستحسانهم : لكن الناس يحبون هذا الكلام يا تيم .

— هم مغفلون مثلك . . . أسمع . . . كيف عن هذه الأحاديث نهائيا . . . واذا حدثك أحد فيها فقل انك كنت تمزح وانك لم تمزح في حياتك قصرا من قصور الأغنياء والأشراف . . . اتني ارتقى سلم المجد وأرفع (الويسوسى) ممي . . . وسأرفك معنا أيضا اذا أمسكت لسانك عن هذا الكلام الفارغ ولزمت العقل

والرصانة .. فإذا لم تفعل كان لي معك شأن آخر .. ففكر في الأمر وشاور نفسك .. إن عندي عملا لفتي مثلك إذا صان لسانه .. وهو عمل من ورائه للمال الكثير والفتى الموفور ، سيكون لك المال والنساء والسيارات .. لكن إذا فقت بكلمة واحد عن هذا لأحد فستبغني وحينئذ تفقد كل فرصة أمامك .. ولن يكون مقامك هنا بل ستقيم في نيويورك .
فغمغم شاموسى في جدل وجبور : مال ونساء وسيارات ! .. إن لك أن تقطع لساني يأتيه إذا بدرت مني كلمة واحدة !

فقال تيم : هذه فكرة .. والآن عد من حيث جئت .
وسمع مارتن ديل وقع أقدام شاموسى وهو يجاوز باب الغرفة التي كمن فيها ويهبط درجات السلم مترنحا مبتهجا وفيها هو يتسامل عن (الوسيوسى) إذ سمع صوته يهتف في طجة تشف عن النور : وجدتها ! .. إن هذه (التفاحة) الجديدة لا تزيد حجمها عن كرة (الجولف) ، وهي مأمونه بالنسبة الى غيرها ! (والتفاحة) في عالم الاجرام هي القنبلة .. بيد انها ليست من قنابل الحرب وإنما هي من هذا النوع الذى يستخدمه الجناة وأصاغر الساسيين في قذف دور خصومهم به . وظاهر من هذا أن الوسيوسى قد كرس مواهبه في عالم الكيمياء لمثل هذه الأغراض الشائنة . وكذلك اهتدى مارتن ديل إلى تفسير رائحة الغازات الفاسدة التي نغذت الى أنه .. ولا ريب أن الجناح الخلقى المضاد من لبنى هو للعمل . وقال تيم ردا على كلام أخيه : بديع ! .. أنت شاب مدهش ! إن المستقبل مضمون بفضل قنابل الغازات الفاسدة .

وبهذه الجملة كشف تيم عن مصدر ثروة الأخوين داليس وعن سر هذه التجارب التي يقوم بها (الوسيوسى) في مجال الغازات الكريهة الرائحة .
والموافق أن مارتن ديل كان يعلم تمام العلم أساليب استخدام هذا النوع من القنابل . إذ يذهب تيم الأنيق المظهر الى الدور الكبيرة والبيوتات المعروفة المجال البارزة فيقابل مديرها ممددا من أياها مهتا بكثرة رودها وعملائها ، وينتهى آخر الأمر بمرض خدماته الخاصة لحماية هذا كله وضمانه . فإذا أبى المدير قبول هذه

الخدمات الاجبارية ، وهو ما يحدث غالبا دارت الايام فإذا المسكان يوضح نجاة وفي أشد أوقات ازدحامه برواده ، بروائح هذه الغازات الفاسدة الكريهة التي تنشرها قنبلة (الوسيوسى) . ويضطر المدير إما الى الاستنجاد بالبوليس وهو مالا يجد نفعا وإما الى الاذعان وقبول الخدمات المروضة عليه ، وأداء الاتاوات المترتبة عليها .

وقد اختص تيم بعرض خدماته على أصحاب أطباء عيادات الأسنان وصالونات التجميل ، وكان يقابل أول الأمر بالتردد والرفض ، ولكن الاذعان والتسليم كانا هما النتيجة النهائية .

على أن مطامع تيم لم تنف عند هذا الحد . إذ قال لأخيه : إنى أرمى الى عمليات تدر صفقات أعظم .. أريد ان تجرب اختراع قنبلة اكبر حجما من السيارة التي كانت تستخدم في اشغال الحرائق في سفن البضاعة في الحرب الماضية . فان الحرب قريبة ويجب أن نستعد لها . وأعنى بها حرب العمل والعمال فهناك فريق كبير من أصحاب العمل والرأسماليين يضطهدون عمالهم ، ومتى وجدوا آلات مصانعهم الدقيقة الغالية هدف التخریب كان عليهم ان يذعنوا ويسلموا . . فقال (الوسيوسى) : لأبأس سأتكفل بصناعة القنابل، لكنى لن اتولى وضعها حيث يراد .

— لازوم لهذا . . فأنت الصانع وأنا الوسيط . . وعلى شاموسى الباقي انه كان هنا وقد أخبرته بما ينتظر منه . . فان هذا الشاب فوضوى بفطرتة .
وانسحب (الوسيوسى) على الأثر الى المعمل لانعام تجاربه ، بينما أدار تيم (الراديو) وجلس يستمع الى الموسيقى راضيا قرير العين . .
فاكتفى مارتن ديل بهذا التقدر وطاد أدراجه كما جاء يقظا محاذرا وقد عقد العزم على ابلاغ البوليس امر هذه العصابة الفوضوية حالما يفرغ من قضيته ويودع (ادجيل) نهائيا . .

الفصل العاشر

في عرين الأسد

جلس مارتن ديل فوق جذع شجرة ساقطة قرب باب حدائق مزرعة داليس ينتظر قدوم الأعمى بيل . وما لبث أن سمع صوت الباب الأمامي يقفل ، ثم جاءه بيل مهرولاً لاهت الأنفاس ، فسأله ديل : ماذا جرى؟ هل من أحد يطاردك؟ فأجاب بيل وهو يجلس بجانبه متفلاً مرتعداً : لم يطاردني أحد .. وإنما حدثت حلاً ثقيلاً . فقد أخذتني سنة من النوم وأنا جالس بجانب النافذة بعد أن ذهبت مدام داليس إلى فراشها ، فرأيته في المنام يحاول قتلي وأنا لأقوى على الاعتماد عنها والإفلات منها . ومن عجب أني الفيتني في المنام بصيراً واستطعت أن أنظر إلى وجهها ، فكان مخيفاً بشعاً مروعا حتى استيقظت من النوم صارخاً . لعلك سمعت صرختي؟

— لا . فانا هنا منذ خمس دقائق ، وبم كانت تحاول قتلك؟ .

— بهذه وأخرج بيل من جيبه هراوة ثقيلة قاتلاً : وقد جثت بهامعي فربما نفعتنا في هذه الليلة .

— لا لزوم لها . فقد جثت معي بمسدس أوموماتيكي .

فرد بيل الهراوة إلى جيبه قاتلاً : إنها تعلقها فوق مسمار خلف الباب الأمامي فلن نطقن إلى غيابها . هيا بنا .

ومرا في طريقها بمخزن الحبوب ، حتى إذا جاوزاه راح بيل يتمسك أشجارا معينة وهو يحصى خطاه بين شجرة وأخرى ، ولعله جعل في الأشجار علامات خاصة حتى يهتدي بها في سيره . وكان التقدم وانياً بطيئاً ، ولكن مارتن ديل لم يتألك أن أعجب ببراعة هذا الأعمى ودقة إحساسه .

ووصلاً أخيراً إلى حافة أرض صخرية منحدره ، فقال بيل :

— هذا مبلغ علمي ، إن البيت للمنزل قائم في نهاية طريق إلى اليمين ، ولك أن تسترشد في سيرك بأكداس العلب الفارغة التي سقطت من قبل فوقها .

واردف قائلاً وهو يتشبه بذراع ديل : لا تتحركي فيكتور ! فاني لأخاف لقاء ذلك الرجل مرة ثانية إذا علم أني جثت لمطارده !
فقال ديل : حسناً ، عليك أن تنتظر في الظلام بينما أطال الباب والنوافذ .
فقال بيل : انا في ظلام دائم ، وسأنتظر حينما تشاء ، لكني أحب قبل أن تذهب فيكتور أن أقول لك شيئاً .

فلم يجد مارتن ديل إلا أن يابي رغبة هذا الأعمى الساذج وهو مدين له بمغامرته هذه ، فقال بيل : مالي أراك متفلاً هكذا فيكتور .

— انزاني كذلك؟ لا بأس . إن أحب للمغامرات يثير لهفتي .

— لكن لم الانفعال في هذه المناسبة؟ اني قد أكون محطاً فيما أخبرتك

به ، ما الذي يحملك على ان تتسلح بمسدس وتعرض نفسك للخطر من أجلتي؟ .
لاني غير مطمئن ، فلم لا تعود أدراجنا؟ .

فقال مارتن ديل وقد أزعجته هذه الفكرة : لاني شرعت في هذه المهمة وسأتمها حتى النهاية .

— إن تومي على حق إذن ، فقد قال إنك لست مؤلفاً ولا من رعاة البقر .

— اقال تومي هذا؟ متى؟

— قاله مرات كثيرة ، وخصوصاً بعد ان هزمت شاهومي كالاهان . وهو

يعتقد انك بوليس سرى .

— لكن لعلك لا تعتقد هذا .

فتنهذ بيل واجاب في لهجة تشف عن خيبة الرجاء : لا اعتقد ، واعلم انك من رعاة البقر ، فلم أجسد اخبر منك بأحوال المراعي والخيل والصيد ، والواقع اني طالما اشتبهت ان التقي بواحد من مشاهير رجال البوليس السرى وان اسدي له خدمة .

ناثر مارتن ديل بكلام هذا الأعمى الطيب القلب ، وقرر ان يجيب سؤاله .

فقال له : طب نفساً يا بيل ، فقد تحقق جملك ، لاني بوليس سرى وأعمل في قضية مناصه وانت مساعدي ، ولا يهيك ان تعرف لاسمي ، ولكن (فيكتور اتوني)

هو لاسم مستعار .

فضحك بيل ضحكة السعادة والجدل قائلاً : ما انا الآن بخائف بعد هذا ، فانك تعرف ما انت بسبيله ، وماذا فعل الرجل الذي جئت نظارده .
— إن على اولاً ان اهتدى إلى شخصيته .

فقال بيل في صوت منهج : اهي جريمة قتل ؟
— ربما ، وعلى كل حال فهي محاولة قتل ، وهناك نهم اخرى منها الرقة والهرب من السجن وما إلى هذا ، على اني احب ان انتبهك إلى انه قد لا يكون الرجل الذي نبحث عنه ، وفوق هذا فقد لا يكون موجوداً هنا .

فقال بيل في لهجة الفوز : بل هو موجود ، واعتقد انه يحصل على طعامه من عند مدام داليس وينقدها عن ذلك اجراً طيباً ، وقد سمعت مرة رجلاً يتحدث إليها من الباب الخافي ، ولما ذهبت مستظلاً نهرت مدام داليس واغلقت الباب في وجهي .

فقد مارتن ديل هذه البيانات دليلاً جديداً على أن آل داليس يخفون ريتشارد جراي مافي ذلك شك ، ولم يشأ أن يضع وقتاً آخر في التحدث إلى بيل . بل تابع سيره ، حتى بلغ سياجاً من النباتات وجد فيه باباً صغيراً فأجلس بيل على جذع شجرة قريبة وانبرى لتفقد للسكان ، فاذا عن كعب منه بيت صغير يكاد يخرج عن العيان خلف مجموعة متلاصقة من اشجار الصنوبر ، وللبيت سلم أمام بابه واجهة ونافتان مستطيلتان على جانبي مدخلة ، فيم ديل شطر الباب الخفي وأنصت فلم يسمع صوتاً من الداخل ، والى الباب موصداً بالرتاج فلا تحسدي للفتاح في معالجته ، ووجد التوافذ مغلقة من الداخل ولا ضوء يلمع منها .
وإذ عاد إلى بيل قال هذا همساً : اوجدت شيئاً ؟

— لا . سأعالج الباب الأمامي ، اسكن لا تنتظر ان افلح في فتحه .
فقال بيل : إنه اوصد كل شيء ، وذهب إلى فراشه ، فان الوقت متأخر ، لسكني وانني انه موجود في الداخل ، وماذا تفعل إن وجدت الباب موصداً ؟
— سأعالج التوافذ .
— وإن لم تتمكن من فتحها ؟
— سناتي السلاح حينئذ ، فما كان لي ان اقتحم الدار عنوة لأنني اريد ان

التي نظرة على شخص قد يكون ربناً من كل أمه ، إن كثيراً من الناس يحبون للفرقة بين الغابات .

فقال بيل وقد لاحظ عليه أمارات الحيرة : لكن ان وجدت إنه الرجل الذي تطلبه ، فهل يمكنك القبض عليه ؟

— نعم . وهو في امكانك انت ايضا ، هو مجرم هارب ، ولنا ان نتقدم المكافأة .

وقد فكر ديل قليلاً فوجد الدخول من طريق الباب الامامي غير مأمون «الماقية» ، إذا قد يكون في درجات السلم المفضي اليه جرس منبه ، أو قد يكون الباب موصداً بالرتاج من الداخل فاذا عالج اقتحامه عنوة تعرض لرصاصة تودي به . وكذلك استقر عزمه على محاولة الدخول عن طريق احدى النافذتين المشطبتين ، وإذا الفاهما ترتفعان من سطح الارض نحو سبعة اقدام خاطب بيل قائلاً :

— ابقى في مكانك . فسأبحث عن برمبل أو صندوق ارتفع به إلى النافذة .
يبد ان الى الصناديق التي عثر عليها قديماً متآكلة فعاد إلى بيل مخبياً . فوجد به يكاد يرقص انقبالا ، وقال بيل : سمته ! . سمته وكان كما تمنا يحاول الايصاد الباب الامامي بالرتاج ! .

فقال ديل همساً : بدع .. خطرت لي الآن فكرة . اسكن لا تنتظر حتى ينام ثم تقوم بتنفيذها .

وأخذوا إلى الانتظار نحو نصف ساعة لم يسمعا في خلافتها ادنى صوت من الداخل ، فقال ديل :

— اليك فكرتي . انت رجل قوى بلا ريب ويمكنك ان تخملي اني على حافتك ربناً اطالع فتح النافذة وقد لبست حذاء من المطاط فلا خوف من أن اودي كنتيك .

فقال بيل همساً : حسناً . اني قوى بلا ريب ، وكنت اعمل في الماضي حقيبة البريد التي تزن مائة رطل فلا اشكو من ثقلها . وفي طاقتي ان احملك كما تشاء .

والواقع ان بيل احتمله غير مندر ولا متمعل ، بيد ان دليل لم يكن خفيما واحسن ان بيل يتربح قليلا من نخته . ومها يكن فانه راح يعالج النافذة بدوائه الدقيقة حتى وفق إلى فتحها .
 على انه لم يكذب تأهب للوثوب إلى حافة النافذة حتى خافه بيل وسقط الاثنان ارضا . فاستاء بيل قليلا بيد انه كظم شعوره واذا هو قد سقط فوق شجرة ومنها الى ارض رطبة فقدر ان سقطته لم يسمع بها احد داخل الدار . ولم يبصر بيل عن كسب منه بيد انه رجأ ان يكون بما من من الاذى .
 واستوى بيل قائما واجال نظره حواله هامسا : بيل ! . اين أنت ؟ .
 وعلى حين غرة حدث ما لم يكن في الحساب . فقد شعر بالمشديد في رأسه وغاب عن صوابه على الأثر .

الفصل الحادي عشر

وجها لوجه

لم يدرك مارتن دليل كم لبث غائبا عن صوابه . بيد انه قدر انه انخم عليه طويلا . فانه حينما تاب إلى رشده التي نفسه جالسا في مقعد مستطيل الظهر وقد شدت اليه ساقه وبداه .

ولبت دليل رهبة لا يستطيع ان يرى ماحولة في وضوح ، على انه حد الله ان سلم من هذه المظلمة التي ساطت من آلة معدنية على رأسه . فلم تطمس تفكيره ولم تشل محته . وان اسالت دمه الذي زف على وجهه . وتركت في رأسه الما شديدا .

واذا كان دليل قد علم انه لم يصب بحرح بليغ . فما هو ذا مشدود الوثاق إلى للفتد ، او بالاحرى مغلوب على امره مدحور في لحظة كان يعتقد انه قد اتخذ كل حيلة ممكنة ولم يفرض في شيء . وانها لتنتيجة تير الأسي حقا .

ولم يكن يداخله أدنى شك في ان الآلة للمعدنية التي أصيب بها في رأسه هي مراوة مدام داليس . وان الذي لطمه بها هو صيف مدام داليس الاخمى .

فما كان بيل جاتلي الا محادا كبيرا ، وقد استطاع ببراعة مدعشة وخداع كثير وتزييف لعالم الشخصية ان يفضي به إلى هذه السكائرة التي حلت به . . .
 وكذلك لبث ان ريتشارد اندروز جرائ كان كما وصفه جون ستوك حقا . كان صورة مجسدة للدهاء . والجرأة والقدرة على الختل والتخادعة . وهكذا لم يبق عليه شك في ان (ريتشارد اندروز جرائ) هو قاتل جون ستوك فقد اخبر تومى نيكولز في سياق أحداثه الكثيرة منه ان بيل الأحمى غاب عنه يوما ، ولا ريب ان بيل (أو ريتشارد) قد استغل هذا اليوم لارتكاب جريمته المزدوجة وقتل المحامي وخادمه تامير .

ولم تكن هذه بالخدعة الاولى على حساب تومى نيكولز ، فإن بيل غاب عن (ادجيل) اياما معدودة لتسوية ميراث له في ولاية (كنساس) . . . او هذا ما اوم به تومى نيكولز وادخله في روعه . وما علمه مارتن دليل من تومى في أحداثه منه . اما الآن فقد ايقن دليل حين راجع نفسه والتي هذا القياض متفقا في تاريخه مع زيارة (ريتشارد اندروز جرائ) لبحيرة (ماين) ومخادته التليفونية مع جون ستوك — ايقن ان بيل كان محادا كبيرا حين اوم الجميع بأنه ذاهب إلى (كنساس) وهو إنما ذاهب إلى بحيرة (ماين) .

واذرك مارتن دليل وقد سبق السيف العذل ان بيل جاتلي الزائف قد غرره وسيره وفاقا لأغراضه . ولا ريب أن هذه الخدعة الأخيرة التي انتهت باعتقاله هي آية الآيات في فن البراعة والدهاء . وسكون نتيجتها للموت الزؤام حاق ذلك شك ولا سراء . ولم يتهالك مارتن دليل ان ارتعد حين تذكر مصير لوجست تامير .

وقبها كان دليل مستغرق في التفكير فدخل ريتشارد اندروز جرائ « إلى القرفة . وجلس ذلك الشقي الذي كان متعمها شخصية بيل جاتلي إلى أحد المقاعد في مواجهة دليل وأشعل ثم قال :

— اراك لا تشاركنى طرقي وتساينى .. انك لا تتكلم .. لعلك صعدت
ذهولا وعجبا ! ولم لا . وقد تعودت الانتصارات الرخيصة على اصحاب الذكاء
المحدود حتى لتحتار وتعجز حين تواجه شخصية من طرازى . ألم يخسارك
الشك مرة في شخصيتى .

— مرة واحدة حين استيقظت هنا من انمأنى .. وكيف كان يمكن
أن ارتاب فيك . إن أكثر الناس قرروا الى انك تبلغ خمسة اقدام وخمس بوصات
طولا . اما بيل جاتلى فلم يكن يزيد طوله عن خمسة اقدام وبوصتين .. وقد
قاس نفسه امامى في (ادجيل) وكان فخورا بقامته وجعائنى اسجل قياسى ايضا .
— وكنت ستة اقدام وبوصة . وشدما جسدك بيل حينئذ . لكن مادمت
ستلحق عاجلا بكل من سنوك وتامبر ، فلا بأس أن اخبرك بما حرصت على
اخفائه عن الناس جميعا ..

إن (ريتشارد أندروز جراى) لم يزد طوله عن خمسة اقدام وبوصتين
ولكنه اخفى هذه الحقيقة عن الناس ، وقد تكلف صانع الحديدى باضافة ثلاث
بوصات الى طولى . فكنت ابدو وكأن طولى خمسة اقدام وخمس بوصات ، أما
أنا في شخصية بيل فكنت البس الحداء المطاط وقد عالت هذا امامك بتعب قد
قدمى بعد حمل البريد سنوات طويلا ، وبهذا الاسلوب أتلعت في أن أدفع عن
نفسى كل شبهة وأن آمن نطفل لطيفين من أمثالك ..

ولك أن تعجب كيف احتملت الحياة ثلاث سنوات في (ادجيل) في اهابة
بيل الاعمى دون أن أمل او انضايق . ولكن هنا البراعة والقدرة حقا ..
ثم انى قد اجدت جيك هذا الموقف الاخير .. وشدما ابهجنى ان اصم صوتك
يردد هذه الجملة : « اسرع يا بيل ، خطونسين أيضا فتكون بجانبى » ..
الا ترى اني أجيد تقليد صوتك ؟
أما هذا الدم الذى لطح وجبى فهو ليس دى ، بل دمك . وقد استعرت
منك ، وأرجو الا يكون مولوثا قاسدا .
فقال مارتن ديل في فجة السخط :

— كفى هزلا .. ولتسكلم في صميم الموضوع .. إن كنت تريدنى
رهينة فما هى القدية ؟
— لا بد انك تحرف يا هيرزى فيكتور إذ تقول مثل هذا الكلام !
انى لن آمن على نفسى قط ان تركتك تذهب .. وقد وجدتك خطراً على ..
فلا مفر من موتك .

وأردف قائلاً على الاثر وهو يتشم خبثا : اراك تعبس ! .. لكشك
معدور .. فان هذا الكلام اليم للنفس .. وسأهدل .. لانك ضيق ..
فلا أحدثك اذن عن نفسى .. فانى كنت طيبة حياتى شخصية فذة متفوقة .. ولولا
ان (ادموند فالسكون) كان يقتصب اموالى وأنا تحت وصايته ويخسنى حقوقى
لسكان لى الآن شأن غير هذا الشأن .. وقد سودوا صحيفتى ولطخوا سميتى
حتى صرت طريد المدالة .. ان الذين أساءوا الى وآذونى سياتقون جزاء
ما صنعوا مولوثا محققا .. وقد لقي بعضهم مصيره المحتوم ... ومادمت قد تحالفت
مع أعدائى ، فستوت مثلهم .

وما لبث ديل أن عطش عطشة قوية هزته في مكانه ، فلم يدر اكان
سببها جلوسه موليا ظهره الى النافذة ام كان السبب رائحة جنتها الريح الى انقه
فقال له جراى متفكها :

— لعليما حى المصدا ؟

فقال ديل : ليس هذا او انها .. لعلك لاتانى طيما ان تفك احدى يدي حتى
اتناول متديلى ؟
— لا يمكن هذا يا فيكتور .. فان حرصى على سلامتى اقوى عندي من
دواعى المجاعة .. هلام الابتسام ؟ . أنت من الفباوة بحيث تتوهم ان ابتسامك
العذبة سوف ترفق قلبى من اجلك ؟ .

لم يجب مارتن ديل .. فقد ابتسم برغمه .. وما كان ابتسامه الا لئيم
تجلى له .. فان هذه العطسة القوية التى هزت كيانه قد خففت شدة الوثاق عنه
ولاسيما حول قدميه ، حتى لقد استطاع أن يلمس بها الارض أخيرا .. فكان

ذلك باعثاً له على التفكير وتقدير عدد العطات اللازمة التي تؤدي الى تخفيف قيود مصعبه .

وبدا له جرای ميالا الى الكلام . فرحب ديل بهذه الفرصة التي تكسبه فسحة من الوقت وتؤخر ساعة انقضاء عدوه عليه . . وكان جرای يقول له :
— كيف دعاك جون ستوك الى مساعدته ؟ . .

— لقد كنا من الجيران . . فلما اشتد خوفه منك استجديني . . والآن دوري في السؤال . . كيف عرفني ؟ . .

— اصارحك ان الحظ حالفني . . فان تامبر أخبرني أن جون ستوك استشارك في ووطته . . فلما سألته أن يصفك لي لي رغبت فخورا ، فقد كان للعقل ممتدا بنفسه وكان يدرس فن البوليس السري بالمراسلات . . ولما صحت اوصافك تذكرت على الفور صديقي راعي الاثبات فيكتور أنتوني . .

— هل آل داليس شركاك ؟ . . أقصد هل أعاروك هذا البيت ؟ .
— طبعاً لا . . والواقع أن بيل ضلك في هذا الشأن كل التضليل . وكان براعة مني حقاً ان أوهمك ان مدام داليس تمدني بالطعام .

— ولم ذهبت الى بحيرة (مابن) في تلك الليلة ؟ . . ما ظنك فقلت هذا بقصد تخويف ستوك فقط ! .

— بل فقلت هذا مدفوعاً بالدافع الذي هو أس الشرور جميعاً . . أعني الحاجة الى المال . . فقد كانت لي شخصية أخرى خارج بلدة (ادجفيل) . شخصية صاحب لزراع الفنى الذى يتفق عن سخاء وبذخ في نوادي نيوبوروك . وكنت حينئذ في أمس الحاجة الى المال . . فلما سمعت أن (اديسون) صاحب محلة الصيد الجاورة لمحة ستوك على بحيرة (مابن) ذاهب الى حفلة عرس انتهزت الفرصة لشد حاجتي من خزانته التي كنت أعلم أنها عامرة . وكنت وحيدى أعلم مكانها السرى .
— باله من عمل طيب يا بيل ! .

— لم تكن هذه سرقة بالمعنى المنهوم . فقد طالما غشني هذا الرجل في الميسر

على عهدي بلاعته في الماضى ، كما انك صمت من ستوك .
وفي هذه اللحظة عطس ديل عطسة قوية أخرى زادت من تخفيف قيوده فقال جرای : هي حصى الحصاد ولاشقاء منها ! . لكن لا تنزعج يا فيكتور . . فلما قرب ستول عنك في العالم الآخر ! .

فأبصر ديل محاورة لغريبه وقد انحصر كل همه إذا ذاك في كسب الوقت ، فقال : كيف أمكنك ان تظهر في شخصية بيل جاتلى موزع البريد .

— احسب ان جوت ستوك قص عليك كل ما يتصل بأفلائي من السجن ، وكيف رأى حتى تحرق ونذبي رمادا ، والواقع اني ما كنت افلت من السجن

على هذا النحو الذى حارب اربع الأدمنة البوابسية حتى نشطت الجهات المختصة بالطاردن وتنقب آثارى . فسكان على ألا استقر في مكان واحد ، وكنت مضطراً الى التنكر في كافة الأزياء المهيئة للمثلي ، وانحمال شتى الوان الجوع والحرمان . .

ولذلك رحبت افترش عن شخص في مثل سنو وبنتي فاهتديت الى بيسل . وكنت ارجو حين عقدت العزم على ذلك ان تكون ضالتي شخصية ساذجة ذات مال ، فلم يسكن اكبر من هذا التوفيق حقاً حين ظفرت في شخص بيل مانسان مماثلني

سناً وبنية وطولاً ، وكان اعمى ولديه مال اجتمع له من التأمين على حياة زوجته للموتوة . وهكذا صادقت بيل . ولما تقمصت شخصته كان على ان ارني هذه

اللعبة التي كان يباهي بها ويقاخر ، وإن احجب عيني خلف نظارات سوداء ، وإن اقوس هاتني حتى يكون لي طابع موزع البريد الذى اخنى ظهري حمل الحقيقة عبرات السنين ، وإن ارتدى مثملاً كان يرتدى بيل . . اجل يا عزيزي فيكتور ! .

شد ما قاسيت واحتملت في سبيل هذا الفن الذى اعتر به ! .
— إن بيل قد لقي اشد من هذا ! .

— إن شئت الصراحة فانه كان مخلوقاً ثامناً لا وزن له في الحياة ولا قيمة .
كان هذا الكلام شديد الواقع في نفس مارتين ديل . بيد انه ركز كل حسه

في محاولة الافلات .

وكان من نتائج هذه العظمت (المنظمة) التي نهز كيانه هذا ان استطاع ان يرسخ قدميه فوق أرض العرفة ترسيحاً ، كما أدرك دليل انها أخذت تؤثر في تماسك اجزاء للقعد العتيق الذي اجلس فيه .

وكان دليل وانفاً ان ريتشارد لن يتعجل القضاء عليه ولن يعمد إلى صرعه متلابسدسة الأوتوماتيكي الذي استلبه منه والذي وضعه في حجره ، كان دليل وانفاً من هذا المسلمه في نفسه هذا المجرم الكبير من رغبة حاجته في التمثيل بضعايه والتنكيل بفراسه .

وفوق هذا فقد الفاه بهوا بقدرته ، شديد الاعتداد بنفسه . فكان عليه ان يحس منه هذا التوتر الحساس حتى ينادى في غلوائه وبغفل عن كل حيلة وحذر ولعله يستطيع ان يجرر يدا ثم يتبعها إحدى قدميه ، ذلك وان لم تكن هذه بالمهمة السهولة اليسيرة ، واشد منها هرا ومشقة ولا يرب محاولة الافلات والنجاة ، وقد يكون فيها ملوث الزؤام .

ومضى ريتشارد يتحدث عن نفسه في شخص بيل ، فراح يقول :
— وقد وقع اختياري على (ادجيل) لقرعها من (فالكونهرست) ومرفسني منذ عهد الطفولة بكل شبر من أرضها وكل دروب في غاباتها . وهل كانت ثمة اصنع من مزرعة داليس مستقرا ومقاما . والواقع انه قد نهأت لي فيها حسرية الذهب والاياب دون ان يرتاب احد في شيء . وكنت إذا جن الليل انسل من غرفة نومي الى سطح قريب ومنه الى الأرض وأنا في نحوه من عين مدام داليس التي كانت تنام كالثور ، هذه المرأة الأنيبة التي اشربت نفسي كرمها على مر الأيام لمسا كانت تسيء إلى وتنفس عيشي .
— لسكنك احتمك هذه الحياة ثلاث سنوات .

— اني ما كنت اتوقع ان انتظر اكثر من سنة واحدة ، فقد كان في حكم المقرر ان يعزل (البيوت) العمل وان يخذل الى الراحة والعزلة في (فالكونهرست) بيدانه مالبث ان قام برحلة الى اوربا لتصفية شؤونه المالية ، حتى اذا عاد منها انتدبه رئيس الولايات المتحدة في بعثة الى جمهوريات أمريكا الجنوبية لاقناع

الناس بات أثروا لأمرين كبيرين اليسوا كلهم مترواحين مطلقين ، وان منهم الرياضيين ومنهم الإجهائين ومنهم المثقفين .

فقال مارتن دليل : إن المرح خسر قبلك شخصية فذة !

— أصبت . لكن بكفيتني أني أصبت هذا النعاج الباهر في التمثيل على مسرح الحياة فانظر إلى دوري معك أنت مثلا ، فاني حين رأيتك حديثك واحدا من هؤلاء الصحفيين الذين يقيمون مع تومي نيكولز بعض السنة وراك تنوي البقاء في الدار التي أتردد عليها . فأردت ألا يساورك الشك في أمري . وكذلك سقطت تامدا فوق حقيبتك التي تركتها بإمالك في عرض الرصيف .
— إنك أصبت ببحر غير يسير حينئذ .

— هو مبالغة الفنان في اعتناق فنه وتضحيته من أجله . وقد عفتني التجارب أنك لاشك متأثرا لحالتي متى دأبت أن إمالك كان سبباً في إيذاء رجل اعني ، وانك لن ترتاب بعد ذلك قط في شخصيتي .
وتقرس في وجه مارتن دليل مليا ، ثم اردف :

— وانى أراك مثلي على حظ من القدرة والبراعة في هذا المصهار . فقد اتقنت تسكرك وبرعت في اداء دورك . فان هذا الفك للليل ، وهذه النظرات للتليلة الخامدة ، وهذه المشية التي لا تدل إلا على رجل بطيء التفكير والعمل ، وهذا الزى الرث العتيق ، وهاتين اليدين القدرتين — كل اولئك يشهد لك بسعة الحيلة وطول الباع في مجال التمثيل والتقليد والمحاكاة .
— لقد تعين على أيضا ان اضحي في سبيل فني .

— لكن تضحياتك يا هرزي فيكتور كانت بسيرة بالقياس إلى تضحياتي فتصور شعورتي ، انا الذي اعتدت اناقة الهندام وحسن الرواء حين تعين على ان اقتبس زى بيل وانقلده !

والواقع ان شخصيته ضابقتني اشد المضايقة لحوائها وغباء صاحبها ، وكانت سحنته على الأخص متار نفوري واشمزازي . بل لعل هذا الشعور هو الذي اثار حماسي وجماني اقبل على إزالة هذه السحنة من الوجود بتنفذ ولذة . وكان على قبل كل شيء ان اخلق تلك اللحية التي كان يزورها ويقاخر . (وضحك جراي

عالياً) . ولما جعلته تحت هجلات السيارة لم يكن افاق بعد من تأثير المتحدر .
وقد جعل يمر بيده التي وضعت فيها خاتمي المنقوش على وجهه الخديق ويقول في
جزم يخاطبه الألم :

— اين ، اين ذهبت لحيتي ؟ أما انت بعززي فيكتور فلك وجه وسيم
لطيف ، وان كان يؤسفني اني سأضطر بعد قليل إلى تشويهه بطريقتي الفذة التي
عرفت بها ، فلا يبقى من معالمة مايمرفك به حتى اقرب الناس اليك ! .

وبهذه المناسبة ، كان يجرسني في السجن حارس بيض مالبت سجنته ان
أثارت شديد نفوري وانتمزازی . فكان هو اول (زباني) في فن المسخ
والتشويه ، مسخ الوجوه وتشويه السجن طبعاً ؛ وسيكون دورك الخامس في
ترتيب (الزباني) .

فقال مارتن ديل :

— تعني ان بيل الحقيقي كان (الزبون) الثاني ، وتعتبر الثالث ،
وستوك الرابع ؟

— نعم ، وستلحق بهم عما قريب . — مهلاً ! أعزني سمك أولاً .

رأى مارتن ديل أن ريتشارد مازال مناسكاً أعضابه ، مسيطراً على حواسه
لم يستسلم بعد لتوبات هذا الجنون الأعمى التي يفاغته فيجعل منه وحشاً ضارياً
يقتل ويمسح ويشوه .

ولو أن ديل استغزه وأهاجه لبادر باستخدام للسدس أو الهراوة .. لكن
أيها أولاً ؟

فان كانت الهراوة ، ففرصة النجاة متاحة له ، والأمل قوي بمدود .. ولأرب
أن (ريتشارد) سينتهي بها من فوره وينقض عليه يفي قبيل كل شيء أن يشوه
هذا الوجه الذي أثار سخطه وذلك كل مايريد ديل ويشتهي .

قال مارتن ديل :

— مهلاً ! اعزني سمك ! أراك تعد نفسك آية في الذهاء والبراعة ..
وانك فريد عصرك ووحيد زمانك ! لكنني لا أراك هكذا !

فقال ريتشارد في صوت له هدوء العاصفة نوحك ان تنور :

— لاتراني هكذا ؟ وكيف ذلك ؟

— انظر مثلاً إلى قصة أفلاتك من السجن .. فربما حيرت اكبر الأدمغة

واستصعب على الكثير فهمها .. اما انا فقد فهمتها في سهولة تامة .. فقد قرأت
كل ماكتبته الصحف عنها .

فقال ريتشارد ساخطاً :

— إنك تكذب وتبالغ .

— لا بأس .. فاستمع إلى اذن . فقد زعمت لهم في السجن انك تريد تأليف

كتاب معين ، فأجابوك إلى طلبك ومنحوك مراجع عديدة مؤلفة من ثلاثين مجلداً

وكنت تدخن في سجنك السجائر المصرية ، من النوع الذي تحتوي عليه على

عشر سجائر ملفوفة في ورق مفضض سميك .. وقد شهد سجائك أنك كنت

مترفاً تدخينك ، لاتدخن أكثر من نصف السجارة ، وكذلك استهلك

سجائر لاعدادها .. وكنت تلقى عاب السجائر طبعاً ، لكن ماذا فعلت بالورق

المفضض ؟ لقد كنت تحقيه بين صحائف المجلدات حتى اجتمع لك منه شيء كثير

ثم إذا كانت إحدى الليالي جمعت هذا الورق المفضض وضغطته على شكل كرة

ثقيلة صلبة .. ثم وضعت هذه الكرة في منشفة ، حتى إذا دخل عليك حارسك

وهو غير مرتاب في شيء لطمته بالكرة لطمه كانت القاضية .. هلا صحبتي إن

كنت مخطفاً ؟

— بل ذلك هو ماحدث .. لكن هذا شيء ، يمكن أني يستأجه كل من

أوتي بعض الذكاء .

فه ريتشارد بهذا الكلام مكرهاً في هدوء متكلف ، بيد أن لهجة شنت

من شديد استيائه وإمتهاضه ، وأردف قائلاً وقد تمت نظراته عن التمر :

— لكن إذا كنت تعد نفسك أكثر مني ذهائاً ونقوفاً وإنك تستطيع
الأفلات من قبضي ، فانت من الواهين المخدوعين .. إنك لم تعد مارتن ديل
حلال للمضلات والقضايا ، بل أنت فقط رقم (٥)

— وسيكون البيوت رقم (٦) ؟

— نعم .. وزوجته رقم (٧).

— يالك من مغرور ! . ان نصيحتي لك ان تغلب من علواتك ، وان
ترب قدر نفسك ! .

— ألتئي يقال هذا الكلام يا وقيح ! ؟

قال ريتشارد بهذه اللمحة صاخبا صاخبا وقد انتفض قائما حتى سقط للسدس
من حجره فلم يفتن إليه . بل شبر الهراوة مهددا متوصدا . فقال له مارتن ديل :
— مهلا . . أنا على وشك أن اعطس . . فإني انوراء قليلا وإلا
صايبك الرشاش ! .

فوقف ريتشارد في مكانه مترددا .

وأما مارتن ديل فقد عطس مترفقا متمهلا دون ان يدري ريتشارد ان
غريبه قد ثبت قدميه في الأرض تليتا ورسخهما ترسيخا . وما لبث ديل ان
ارتجى إلى الخلف بقوة وسرعة كبيرتين . ورأى ريتشارد بعد فوات الأوان
ان صاحبه قد خدعه وغرره واستغفه . فقد هوى مارتن ديل من النافذة
وما زال مشدود الوثاق إلى المقعد الأبيض العتيق المتقادم . ولم يتالك ريتشارد
ان صرخ غاضبا محنقا وهرع إلى النافذة واطل منها . فرأى جسما أبيض اللون
يتحرك . فعاد في مثل خطف البرق إلى المقعد وتناول السدس وأرسل منه
رصاصة في الظلام تحت النافذة .

ثم ركض من فوره إلى الباب الأمامي وجعل يهبط السلم وثبا .

الخاتمة

حينما هوى مارتن ديل خلفا من النافذة لفتوحة راح يدعو الله في سره
اللايسقط على رأسه المرطوض الجريح . وبذل جهده لكي يستدير وهو يهوى
في الفضاء . . حتى إذا ارتطم بالأرض شعر بكشفه اليسرى تكاد تنزع . وأما
لمقعد العتيق المتقادم فقد تكسكت أجزاءه وتناثرت واندمست شظية منه
في خذله ، وان كان ديل لم يشر بها وهو في هذه الفترة . وسرعان ما خلاص

قدميه من الوثاق ثم يديه . وما كاد يقدو حرا طليقا حتى سمع صوت ريتشارد
وهو يهبط السلم كاقضاض الدام .

وركض ريتشارد شطر مارتن ديل وان كان لا يراه ، بل ركزت عيناه
في حزام المقعد الأبيض ، وأطلق ثلاث رصاصات متعاقبات وهو يقول : رأيتك ! .
وفيها هو مصوب مسدسه إلى المقعد إذ لطمه مارتن ديل بقضبة يده فوق
المصم لطمه شديدة عنيفة ركر فيها كل قواه حتى لقد اطار السدس من يده .
فلما رأى ريتشارد غريبه يتقدم نحوه وأدرك انه لم يصبه برصاصة فآزقه
غروره الجنوني واعتدائه السكاذب وتمسكه رعب بالغ وقد بات اعزل مجردا من
كل سلاح ، وهناك يقن ان الغنيمة في الإفلات ، والسلامة في الهرب ، وكذلك
ولى وجهه شطر الحرب المنحدر المؤدى إلى طريق النهر .

وراح مارتن ديل يتبعه بطي . الخطي وقد شلت زراعاه اليمنى ونزف الدم
من جرح رأسه ووخزته الشظية في خذله وخزا ألما ، ييدانه لم يبال بهنذا كله
واحصصر همه الأكبر في إدراك ريتشارد قبل ان يفت منه ، وهكذا انشأ يفت
السير وهو يضغط على اسنانه ويقالب آلامه .

على أن ديل ما كان يدنو من الطريق العمومي المرصوف حتى سمع صوت
بوق يدوي عاليا رنانا مقترنا بصرير (فرامل) وحفيف عجلات فقال .
فقد دهمت سيارة كبيرة رجلا كان يمتاز الطريق عند منعطف تظله الأشجار ،
وجذبته تحت عجلاتها مسافة غير يسيرة قبلما تمكن السائق من وقفها .
وسمع مارتن ديل صرخة مروعة أليمة داوية هي صرخة إنسان رأى الموت
رأى العين ولكنه عجز عن مدافعتة وتفاديه ولم يجد منه مهربا ولا عنه مجيدا .
ولم يستطع ديل أن يتحقق أكان الضحية هو ريتشارد أم سواه ، ولبت
كان الاحتمال الأول أدخل في باب الرجحان .

ومهما يكن فإن عليه أن يتحرى الحقيقة بنفسه دون أن يتعرض للأخطار ،
فقد كانت ملايه بمنزلة وجهه دائما ملطحا ، ولا يراه احد رجال البوليس حتى
يتقله على الفور سرتابا في امره متشككا .

والواقع أنه لم يكن يريد أن يزوج به في التحقيق وإن يضطر إلى بيان كل ما عرفه من مجريات القضية ، بل كان يؤر ان يقضى بما انتهى إليه إلى اليوت وسيلفيا وحدهما .

وأشرق مارتن ديل من خلف حجاب الأشجار على فريق من الناس تجهم حول السيارة . فإذا ضابط من راكي المونوسيكلات قد حف إلى مكان الحادث وأخى فوق للصاب يفضه وقد خفت أصوات النظارة وتجلى الروح في نبراتهم لهول ما شهدوا من آثار هذه الفاجعة .

وعرف مارتن ديل بين للتجمهرين وجه (برانيجان) تاجر الحردوات الذي مالبت ان دنا من الضابط وهو يدون بيانات الحادثة في مفكرته بعد ان فرغ من خمس الجئة ، فسأله :

— من القليل يامستر ديك ؟ . اهو من اهل البلدة ؟ .

فأجاب الضابط وكان لحدائة سنه متأثراً من بشاعة الحادث :

— اعتقد انه الرجل الأعمى الذي كان يقيم عند الأم (داليس)

فقال برانيجان في دهشة :

— تعتقد ؟ . ماذا تقصد بهذه الكلمة ؟ !

فأجاب الضابط وهو مسترسل في تدوين بياناته :

— انظر بنفسك ! .

فأخى برانيجان فوق القليل ، وما كان يلقى نظرة عليه حتى صرخ مرتداء

مشدوماً ، وأسرع إلى جانب زوجته وهو يقول في شدة الفرع :

— لم يبق له وجه يعرف !! . ان وجهه انطمس وذهب !!

« تمت »